الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

٢٧

السنة الخامسة

١٥ / ربيع الآخر / ١٤٢١هـ

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

▵ يقول شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: «ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي أو المجتمعات الأخرى في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون؛ فقد غلط، وقال غير الحق»

▵ قال شيخ الإسلام محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله -: «أصول الدعوة السلفية قائمة على ثلاث دعائم: القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وفهمهما على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم. وسبب ضلال الفرق كلها - قديماً وحديثاً - هو عدم التمسك بالدعامة الثالثة»

▵ ▵ «يا أبنائي... إن أسلافكم كانوا يعدون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه» ▵ ▵

العلامة البشير الإبراهيمي - رحمه الله -

«ينبغي عدم التهاون بالصغير من مخالفة السلف، أو التورع بالقول عن البدعة بدعة؛ لأن ذلك يؤدي إلى الطامة الكبرى».

الشيخ عبد الله العجيلان

في هذا العدد

في هذا العدد... في هذا العدد... في هذا العدد... في هذا العدد...

•• التأصيل... الحلّ الأمثل ••

•• الشاطبي حسنة من حسنات ابن تيمية ••

•• قراءة منهجية في أحاديث الخوارج ••

•• قواعد في معاملة المخالفين للسنة ••

•• التقرب إلى الله بمعصيته ••

•• وقفات منهجية مع كتاب «لماذا أعدموني» ••

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

العدد: ٢٧

السنة الخامسة: ١٥ / ربيع الآخر / ١٤٢١هـ

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

■ أسرة التحرير:

الشيخ سليم بن عيد الهلالي..... رئيساً

الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر..... عضواً

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري..... عضواً

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان..... عضواً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بناء.

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الحق

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -

الاشتراكات:

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة:

- الأردن: دينار واحد.
- الإمارات المتحدة: ١٠ دراهم.
- البحرين: دينار واحد.
- السعودية: ١٠ ريالات.
- الكويت: ٨٠٠ فلس.
- أوروبا: ٤ دولارات.
- أمريكا: ٥ دولارات.

صف وإخراج فني: أيهم عماد الدين جابر، ت: ٤٨٨٣٠٥٠

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤ / ٣ / ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

الأردن:
عمان - مخيم حطين
ص.ب (٩٨)
رمز بريدي (١٣٧٨١).

تطلب الأصالة من

الولايات المتحدة:
AL_QURAN WAS-SUNNAH SOCIET (QSS)
19800 VAN DYKERD
Detroit MI 48234-3354
Tel: (313) 893-3768
Fax: (313) 893-3748

كندا:
ASSOCIATION MUSULMANE DEMONTREAL - EST.
3445. JEAN - TALON EST. ST-LEONARD H29 1x1
Tel. 514-374-9572
Fax: 514-374-9660

اليمن:
مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤ .

الإمارات:
مكتبة الفرقان - عجمان ص.ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٣٥).

● وتطلب (**الأصالة**) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

خطبة الحاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ -وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُما رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

محتويات العدد

- **فاتحة القول: التأصيل... الحل الأمثل:**

التحرير ٥

- **تأملات قرآنية: المحاسبة وأثرها في تحقيق الإيمان:**

الشيخ: فتحي عبدالله سلطان ٧

- **الكلم الطيب: قراءة منهجية في أحاديث الخوارج:**

الشيخ: سليم بن عيد الهلالي ١٣

- **التقرب إلى الله بمعصيته:**

الشيخ: سعد الحصيّن ١٥

- **الاتباع: عاقبة أهل البدع:**

الشيخ د: محمد موسى نصر ١٧

- **مناهج العلماء: الشاطبي حسنة من حسنات مدرسة ابن تيمية:**

الشيخ: مشهور بن حسن آل سلمان ١٩

- **من ديوان الشعر: العدوان الروسي على الشيشان:**

خير الدين وانلي ٢٧

- **تصفية وتربية: قواعد في معاملة المخالفين للسنة:**

الشيخ: عبدالله بن صالح العبيلان ٢٨

- **السلوك وتزكية النفوس: التوضيح والبيان لمعاني الإحسان:**

أبو عبدالرحمن محمد المهر ٣٤

• **نقد كتاب: وقفات منهجية مع كتاب «لماذا أعدموني»**

عبدالحميد العربي الجزائري ٤٠

• **واحة التراث: الأرقام...!**

أحمد إسماعيل السبع ٤٦

• **من آفات الطريق: إمامان عالمان... وكلمتان حكيمتان...**

الشيخ: علي بن حسن الحلبي ٤٨

• **السياسة الشرعية: حقيقة العلم الشرعي الضروري لبناء جيل مسلم:**

الشيخ: د. صالح بن غانم السدلان ٥٠

• **كلمات في الدعوة والمنهاج: رفع الحجاب عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل الأحزاب:**

الشيخ أبو الحسن المأربي ٥٥

• **في الاقتصاد الإسلامي: الربا... فقهه وأنواعه وأحكامه:**

أبو صهيب محمد المنشاوي ٦٠

• **خواطر إيمانية: الحَوْرُ بَعدَ الكَوْر:**

إبراهيم بن عبدالله المزروعي ٦٧

• **من أرشيف الأصالة: الدعوة السلفية: أصولها... مقاصدها... أسباب النهوض بها...**

العلامة المجدد شيخ الإسلام محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- ٧٤

• **تراجم العلماء: الشيخ محمد بن عبدالله الصومالي:**

الشيخ: عمر بن محمد السبيل، وحسن عبدالرحمن المعلم ٧٩

• **مسك الختام: وسقطت الأقنعة:**

التحرير ٨٣

التأصيل... الحل الأمثل

● بقلم: التحرير

ظاهرتان خطيرتان محسوستان في واقع الأمة:

الأولى: العزوف عن العلم الشرعي بأصوله وأدلته ومسائله.

والثانية: وهن التقوى في القلوب إلا ما رحم الله.

وبين الظاهرتين تلازم واضح؛ لأن طلب العلم من أهم أسباب زيادة التقوى وتحقيقها، في حين أن التقوى من لوازم العلم.

ومن نتائج ذلك العزوف وهذا الوهن وآثاره على واقع الأمة: الفراغ العلمي والإيماني والدعوي الذي أرهق كاهلها إلى حدٍّ عمّت الفوضى فيها؛ حتى سعت بعض الاتجاهات إلى شَغْله بالطروحات الفارغة، والحزبية المقيتة، والآراء الضالة... في حين بقي البعض في دائرة التفرج والترقب لا يحرك ساكناً كأن ليس له من الأمر شيء إلا أن يدفع ضريبة سكوته بفراغ أكبر **تنوسيت عنده المواعظ، وتقهقرت على أعتابه الثوابت.**

هنالك كانت صولة الربانيين العاملين بمنهج السلف الصالح في تحمل أعباء المسؤولية، واستنهاض الهمم، واستذكار المطالب؛ **حتى يترقى الإيمان في قلوب أهله، ويترسخ العلم في عقول مريديه.**

ولعل ما يخشى على أهل الحق: هو انتقاصُ إيمانهم، وانشغالهم عن العلم والنظر فيه وإدراك طرائق تحصيله؛ ذلكم أنّ مصلحتهم راجحة على كل المصالح مثلما أن دعوتهم ظاهرة على كل الدعوات، وأن الكمال في أنفسهم -بالإيمان والعلم- شرط في حصوله لغيرهم.

ولو نظر كل داع إلى الله بعين البصيرة إلى نفسه وواقعه لرأى فرقاً شاسعاً، وتمايزاً واضحاً بين أول التزامه يوم أن كان محباً للتوحيد وأهله، ومجلاً للعلم وطلابه، همته مصروفة إلى تحصيل الإيمان والعلم

مستشعراً غربة أهل الإسلام عاملاً بالمنهج الحق لا يعرف سواه ولا يصاحب غيره؛ وبين آخر أمره أو منتهاه حيث الجمود والعبث، حتى باتت -عند البعض- المشاريع العلميّة الدعوية حلماً في دائرة الخيال لا ينطلق إليها إلا إلى سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، أو إلى تقوّل، أو حظ نفس، أو نيل من العلماء...

ولهذا لا بد من التذكير ببعض المنطلقات الضرورية في الحل والعلاج:

أولاً: أن الطريقة القرآنية النبوية السلفية هي التي تجمع بين العلم والعمل معاً، فالعلم معرفة الهدى بدليله، ولا يكون نافعاً حتى يعمل به، فلا بد من رعاية العلم بالعمل والانقياد، فالمنطلق الأول يتمثل بالسعي إلى زيادة الإيمان من جهة العلم، وإحياء مفهوم التزكية في النفوس، **وأنها قدر زائد على معنى التصفية، تصاحبها في النهوض والعلاج**، ولهذا أطبق العقلاء على التزام هذا الأمر قديماً وحديثاً.

ثانياً: أن يكون لطالب العلم منهج علمي مؤصل في طلب العلم يقوم على **التأصيل والتدرج في الطلب**، مع ضرورة ترسيخ **القاعدة الموسوعية في أصول العلم الشرعي متأسياً بالمنهج العلمي** الذي كان عليه أعلام الدعوة على منهج السلف الصالح أمثال **شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية** -رحمهما الله تعالى-، والذي كان محل قبول ورضى وإجلال عند أعلام العصر؛ أمثال: **الشنقيطي، والمعلمي، والسعدي وتقي الدين الهلالي، وابن باز، والألباني** رحمهم الله تعالى جميعاً.

وهذا التلقي من الأعلام والانتفاع بموروثهم العلمي لا يؤثر في واقع الدعوة إلى إذا غلّب الدعاة **لغة التأصيل** في بحوثهم العلمية ومشاريعهم الدعوية، وأن يختاروا النافع منها، ويتجنّبوا الخوض في ما لا فائدة منه، وهذا المطلب الجليل والمقصد العظيم لا يكون إلاّ **بملازمة الصبر وصرف الهمة** إلى معرفة حقائق الأشياء، والتوجه إلى العلماء والكتب، وتجديد الحب والولاء لمنهج العلم والعلماء؛ بحيث يظفر الداعي إلى الله بوقته طاعةً من جهة توفير الحسنات، وأن يظفر بالعلماء صحبةً وتلقياً، وبالكتب نظراً وبحثاً.

ومن لازم هذا الظفر -أيضاً- أن يُعلم: أن العلم هو **النقل المصدّق والبحث المحقق** لا الظن المزخرف والمزوّق، وأن العلم المبني على الأصول يوصل صاحبه إلى أجلّ غاية وأفضل مطلوب... ومع أن كثيراً من إخواننا طلاب العلم على الجادة في هذا الأمر -وفّقهم الله إلى تمامه وكماله- فقد أحببنا التذكير، والذكرى تنفعهم -إن شاء الله تعالى- متذكرين ومتأملين قول ربنا -عز وجل-: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**.

المحاسبة وأثرها في تحقيق الإيمان

● بقلم: الشيخ فتحي عبدالله سلطان

قال الله -تعالى-: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون**﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

هذا النصُّ القرآني فيه وعظ وتذكير وتقريب للآخرة، وتحذير ممن لا تخفى عليه خافية.

وصُدِّر بالخطاب الإيماني؛ لبيان أنَّ تقوى الله -تعالى- من مقتضى إيمان العبد، وأنَّ هذا الخطاب لمن دخل في الإيمان، وإنْ لم يستكمله، فإنه إنما خوطب به لفعل تمامه، أي: يا أيها الذين أظهرتم الإيمان، والطاعات، والأعمال: اتقوا الله.

فهذا الخطابُ يفيد المدح باعتبار أن المخاطب داخل فيه، ولا ينصرف لزوماً إلى المدح المطلق والوعد المطلق إلاَّ بعد السعي لاستكماله، والدخول في شعبه، ولزوم شعائره؛ فالخطاب موجه ابتداءً للذين صدَّقوا الله ووحدوه.(١)

فتمام الإيمان وحقيقته يكون بفعل مقتضى الخطاب، والمقتضى في هذا السياق يكون بتقوى الله -تعالى- ولزومها في كل حال؛ فلابد من الاهتمام والعناية بكل ما يوجب للعبد تكميل إيمانه وتحقيقه؛ قال **الشنقيطي** -**رحمه الله**-: «في هذه الآية الكريمة حث على تقوى الله في الجملة، واقترنت بالحث على النظر والتأمل فيما قدمت كل نفس لغدٍ، وتكرار الأمر فيها بتقوى الله؛ مما يدل على شدة الاهتمام، والعناية بتقوى الله»(٢).

والأمر بالتقوى ههنا جاء بصيغة العموم؛ لإيثار المعنى العام لها بفعل كل ما يقرب إلى الله -تعالى-، واجتناب ما هو واقع تحت سخطه..(٣)، ومع ذلك فثمت قرائن أخرى

(١) «تفسير الطبري»(٢٨ / ٣٥).

(٢) «أضواء البيان» (٨/ ٨٠).

(٣) وهذا ظاهر بقرينة حذف المعمول.

دلت على أن بعض أفراد العام مقصودة؛ وكأنَّ التقوى متوجهة إلى معنى خاص مقصود بالإضافة إلى المعنى العام، وهذا ظاهر بقرائن السياق كما سيتبيّنُ -إن شاء الله-.

> التقوى هي الغاية من إرسال الرسل ومن خلق الثقلين، ولا سبيل يوجب حفظها إلا باستدامة النظر

❖ الأمر بالغاية والوسيلة معاً في سياق الترغيب والترهيب:

التقوى هي الغاية من إرسال الرسل ومن خلق الثقلين، ولا سبيل يوجب حفظها إلاّ باستدامة النظر، وأن يقرن العبد رجاءه بالخوف والخشية والحذر، وفي هذا المعنى قال **الشنقيطي** -رحمه الله-: «فالنداء أولاً بالتقوى لخصوص المؤمنين، والأمر بالنظر لعموم كل نفس؛ لأن المنتفع بالتقوى خصوص المؤمنين، والنظر مطلوب من كل نفس؛ فالخصوص للإشفاق والعموم للتحذير»[1].

فتقوى الله -تعالى- غايةُ الأمر، واستدامة النظر وسيلة حفظها، ولا يزال العبد مستديماً للنظر في العواقب؛ فهو في تقوى الله، ولهذا أمر الله -تعالى- المؤمنين:

«ولتنظر نفس ما قدمت لغد»؛ أي: لينظر أحدكم أيّ شيء قدم: أعملاً صالحاً ينجيه؟ أم شيئاً يُوبِقُه؟[2]. وجاء أمرُ كلّ نفس أن تنظر إلى ما قدمته من أعمال ليوم الحساب بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـ(لام الأمر) للدلالة على أن المطلوب من العبد استدامة النظر، وعدم انقطاعه إلى الوصول إلى دار الجزاء.

وهذا الأمر موجه لكل نفس على وجه الاستقلال؛ لأن النفس وردت نكرة في سياق الإثبات، وهذه الصيغة تفيد -ههنا- العموم الشمولي[3] أي: كل الأنفس مطالبة باستدامة النظر والمحاسبة.

وهناك قول آخر في سبب تنكير النفس؛ فقد قيل: لاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمت لذلك اليوم الهائل؛ كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة لذلك[4]؛ وعلى أي حال؛ فكل نفس لا تنفك في اضطرارها وفقرها عن النظر، بل واستدامته حتى تتنفس وتطمئن

(١) «أضواء البيان»(٨ / ٨٥).

(٢) «زاد المسير» لابن الجوزي(٨ / ٢٢٤).

(٣) المقرر في الأصول: أن صيغة النكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق غالباً والعموم استثناءاً، وترجيح صيغة العموم في الآية على صيغة الإطلاق بقرينة السياق.

(٤) «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود(٣ / ١٥٤).

بإيمانها[1].

ومجيء «قدمت» بصيغة الماضي حث على الإسراع في العمل، وعدم التأخير؛ لأن العبد لا يملك إلاّ ما قدم في الماضي؛ والمستقبل ليس بيده، ولا يدري ما يكون منه: ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً**﴾[2]

وهذا إشعار بضرورة الإسراع في العمل؛ لأن العبد قد لا يدرك الآتي من الأيام؛ فيأتيه الموت وهو لا يملك إلاّ ما فات من عمل؛ فهو لا يملك للماضي رداً ولا للمستقبل إتياناً؛ فعليه اغتنام يومه هذا الذي يتنفس فيه دون ركون لما قدم أو تسويف، وتواني وطول أمل في أن يعيش ويعمل في المستقبل!

وتنكير «غد» لبيان هول وعظمة ذلك اليوم[3]، وهو يوم القيامة، والعرب تكني عن المستقبل بالغد، وإيثار تسميته بذلك تنبيهاً على أن الساعة قريبة، فعن **قتادة** -رحمه الله- قال: «ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد، وغد يوم القيامة»[4].

وقال **الشنقيطي** في «أضواء البيان»(٨ / ٨٦):

«واليوم في الآية هو يوم القيامة، والقرائن الدالة في الآية منها:

اكتنافها بالحث على تقوى الله قبله وبعده، والتذييل بالتحذير في قوله: ﴿**إن الله خبير بما تعملون**﴾....».

فإيثار تسمية يوم القيامة بالغد على أساميه الأخرى؛ لبيان قربه، ولتحصيل المسارعة من العباد نحو تحقيق التوبة والمحاسبة.

فقوله -تعالى-: ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ أمرٌ بالمسارعة لاستدامة المحاسبة من كل نفس مع الخوف والحذر من مداهمة الموت وإتيان يوم القيامة دون استعداده له.

❖ **تنوع منازل العبودية بحسب حال العبد:**

وهنا مشهد مهم من مشاهد الآخرة؛ فكأن النفس واقفة بين ما قدمت وبين غدها؛ تنظر إلى ما قدمت فتفتش فيه وتحاسب، وتنظر إلى الغد؛ فتخاف، وترجو، وهكذا تستديم هذا الحال إلى أن تلقى ربها؛ فالآية فيها ثلاثة ألفاظ تدل على ثلاثة أزمنة: «**قدمت**» للماضي، و«**غد**» للمستقبل، و«**لتنظر**» للحال والآن؛ فالعبد مطالب بتقوى الله أولاً

(١) أصل اشتقاق «النفس» في اللغة من الترويح، والخروج، والانفصال، انظر «مدارج السالكين»(٣ / ١٨٦، ٢٨٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس(ص / ١٠٤٠-١٠٤١-دار الفكر)، ويظهر من ذلك أن الوقوف على الاشتقاق اللغوي للكلمة يعين أحياناً على ترجيح معنى الآية.

(٢) «تفسير البيان» للشنقيطي، (٨ / ٨٨).

(٣) «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود (٣٠٠ / ٩١٥٤).

(٤) «الطبري»(٢٨ / ٣٥).

لما مضى وسلف بالتوبة والإنابة، ويطالب بتقوى الله لما يستقبل من عمل بالخوف والخشية، وبتقوى الله في حاضره بالمحاسبة والمراقبة، وهكذا يتنقل العبد في منازل التقوى بحسب حاله بين التوبة والخشية والمحاسبة.

والتنوع في النزول في منازل التقوى -الآنفة الذكر- يتوقف على أمرين:

الأول: حال العبد في استدامة نظره، وقوة استعداده لليوم الآخر.

الأمر الثاني: بالنظر إلى ما عند العبد من العلم الشرعي النافع.(١)

وقد قال غير واحد من العلماء: أن هذه الآية أصل في باب المحاسبة:

قال **ابن قيم الجوزيّة** في «مدارج السالكين»(١ / ١٧٠): «فأمر -سبحانه- العبد أن ينظر ما قدم لغد، وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك، والنظر: هل يصلح ما قدمه أن يلقى الله به أو لا يصلح؟

والمقصود من هذا النظر ما يوجبه ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله، ويبقي وجهه عند الله» ا.هـ

وقال **ابن كثير** في «تفسيره» (٤ / ٣٦١): ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾؛ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم» ا.هـ

وقال **عبد الرحمن بن ناصر السعدي** في «تيسير الكريم الرحمن»(٧٩١ ط الرسالة): «وهذه الآية الكريمة، أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها؛ فإن رأى زللاً، تداركه بالإقلاع عنه والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تتميمه وتكميله وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه، وبين تقصيره؛ فإن ذلك يوجب له الحياة لا محالة» ا.هـ

❖ **فائدة:**

ولما كانت الآية أصلاً في باب المحاسبة، وحتى تتبين فائدة تكرارالأمر بالتقوى في -الآية-؛ فلابد من إيجاز لمعنى المحاسبة وسبيل تحقيقها:

قال **ابن قيم الجوزية** -رحمه الله تعالى- في معنى المحاسبة: «وهي التمييز بين ماله وما عليه فيستصحب ماله ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافر سفرَ من لا يعود»(٢).

(١) سيتضح هذا فيما بعد -إن شاء الله-.

(٢) «مدارج السالكين»(١ / ١٣٣).

إن العبد إذا عرف ماله وما عليه أخذ في أداء ما عليه والخروج منه بالتوبة والإنابة إلى الله

وهي تسبق منزلة التوبة وجوداً ورتبةً، وتتأخر عنها حفظاً ورعايةً؛ فإن العبد إذا عرف ماله وما عليه أخذ في أداء ما عليه والخروج منه بالتوبة والإنابة إلى الله -تعالى-[1].

ويرى **ابن قيم الجوزيّة** -رحمه الله تعالى-: أن العبد لا ينزل في منزلة التوبة إلاّ إذا حاسب نفسه وخرج مما عليه؛ فالمحاسبة سابقة للتوبة في الرتبة.

وهي قد تتأخر عن التوبة باعتبار أن المحاسبة لا تكون إلا بعد تصحيح التوبة؛ فتُمكن العبد على حفظ ما تم له من ذلك، حتى لا يخرج عنها، وكأنه وفاء بعقد التوبة.[2]

ومن المفيد في هذا الموضع أن يُعلم أن المحاسبة لا تكون إلاّ إذا قايس العبد بين نعمة الله عليه وبين جنايته، وبهذه المقايسة يعلم أن الرب ربٌّ والعبد عبد، ويتبين حقيقة النفس وصفاتها، وعظمة جلال الربوبية وتفرد الرب بالكمال والإفضال، وأن كل نعمة منه فضل، وكل نقمةٍ منه عدل

وهذه المقايسة تشق على من ليس له ثلاثة أشياء:

الأول: نور الحكمة:

وهو: العلم الشرعي الذي نوّر الله به قلوب أتباع الرسل؛ فبقدره ترى التفاوت، وتتمكن من المحاسبة، يقول **ابن قيم الجوزية** في «المدارج»(١/ ١٧١) «ونور الحكمة ههنا: هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والضار والنافع، والكامل والناقص، والخير والشر، ويبصر به مراتب الأعمال: راجحها ومرجوحها، ومقبولها مردودها. وكلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم»[3].

الثاني: سوء الظن بالنفس:

فإنما احتاج إليه العبد؛ لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويُلبّس عليه؛ فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالاً؛ فإن

(١) الذي يذهب إليه ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في باب ترتيب منازل العبودية-: أنها ليست كمنازل السيْر الحسي؛ وإنما هذا الترتيب: ترتيب المشروط المتوقف على شرطه المصاحب له؛ فانظره في «المدارج»(١/ ١٣٤).

(٢) ومنتهى التحقيق عند **ابن قيم الجوزية**(١ / ١٧٠): أن التوبة بين محاسبتين: محاسبة قبلها تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها.

(٣) وهذا لا يكون إلاّ بالنظر في علوم السلف روايةً ودرايةً، والإعراض عن علم الكلام، وما عليه أهل الرأي والأهواء والبدع.

المحب يرى مساوئ محبوبه وعيوبه سواء لا فرق بينها.

ولا يسيء الظن بنفسه إلاّ من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه؛ فهو من أجهل الناس بها.

الثالث: التمييز بين المِنن والمِحن -بين النعمة والنقمة- بين الكرامة والاستدراج: فالعبد يطالب بالتفريق بين النعمة التي يعان بها على تحصيل سعادته الأبديّة، وبين النعمة التي هي من قبيل الاستدراج(١)؛ فكم من مستدرج بالنعمِ وهي نقم -وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه(٢)، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه، وأكثر الخلق عندهم: أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح؛ ذلك مبلغهم من العلم(٣).

فإذا أبصر العبد حقائق الأشياء بنور الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة، وقدح في حظ نفسه، وفرّق وميّز بين النعمة والمحنة؛ فقد أوفى بشرائط المقايسة الموجبة لتحصيل تمام المحاسبة، والموفق من وفقه الله -تعالى-.

هذا ما تيسر بيانه في هذا الموضوع، والله -تعالى- وحده الهادي إلى سبيل المحاسبة.

حراس الدين

● قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في مقدمة «شرف أصحاب الحديث»:

«... فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين، وصرف عنهم كيد المعاندين، فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار، في اقتباس ما شرح الرسول ﷺ المصطفى، لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً، حتى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها، وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ماليس منه، والله -تعالى- يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفّاظ لأركانه، والقائمون بأمرها وشأنها، إذا صدف عن الدفاع عنها، فهم دونها يناظرون، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون».

(١) وبه يعرف ضرورة التفريق بين نازلة النعمة، ونازلة الفتنة، وقد غاب هذا عن كثير من دعاة فقه الواقع(!)

(٢) وهذا ينسحب على واقع الدعوة والمنهاج، فكم مفتون بثناء أهل البدع عليه، مغرور بماله وسلطانه وشهرته؛ فيظن أن هذا من علامة تمكينه وانتصار دعوته! ولكن هيهات؛ فالمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله.

(٣) انظر «المدارج»(١ / ١٩٠-١٩٢).

قراءة منهجية في أحاديث الخوارج

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

لقد قام أصل الخوارج على التشكيك في قسمة رسول الله ﷺ وأنها لم يُرد بها وجه الله، فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا؛ فصبر**».

وقد استدل بها أفراخهم على جواز الإنكار العلني على الحكام، والتهييج الحماسي للعوام بدعوى أن الرسول ﷺ لم يقتله. ولم يسجنه، ولا حذر منه، ولا حقق معه... وزعم بعضهم أن هذا هو المنهج الذي تقوم عليه العلاقة بين العالم والحاكم (!).

وهذا الاستدلال -المزعوم- يدل على أمور:

١- أن منهج الخوارج قديماً وحديثاً ينبني على غمز الحكام ولمزهم، وتضخيم أخطائهم في نظر العامة؛ ليوغروا صدورهم فيسعَوْا في زوالهم أو التآمر عليهم أو السكوت عمن يسعى إلى ذلك، ولذلك جعلوا أصل الإيمان متمثل بـ قضية التشريع والحكم، وأن الخلل فيها أو النقص الذي يعتريها ناقض لعقد الإسلام، وهادم لأصل التوحيد.

٢- فصل العامة عن قيادتهم الصحيحة المتمثلة في أهل العلم الربانيين وتربيتهم على صغار العلم قبل كباره؛ لتبلغ رشدها وتستغلظ وتستوي على سوقها؛ فلا تقع في الاستعجال الذي يصيب دعاته استبدالاً أو استئصالاً.

لقد جمع الخوارج شرين: تضخيم أخطاء الحكام؛ لتكفيرهم، والتشكيك في العلماء وتحقيرهم

ولذلك فقد جمع الخوارج شرين: تضخيم أخطاء الحكام من المسلمين؛ لتكفيرهم، والتشكيك في العلماء وتحقيرهم؛ فطلائع الخوارج شككوا في رسول الله ﷺ وأصحابه، وأفراخهم شككوا في أهل العلم وطلابه.

وهذا الاستدلال ليس له صلة بالمسألة المطروقة من وجوه:

١- أن هذا الرجل الذي شكك في قسمة رسول الله ﷺ بذرة الخوارج، ومحرك الفتنة، وقد تواترت الأدلة من السنة النبوية على ذم الخوارج، وتفنيد منهجهم، بينما الاستدلال المزعوم يوهم جواز صنيع ذلك الرجل، أو على الأقل عدم التعرض له، وأن عمله لا يستوجب عقوبة أو ردعاً أو منعاً.

٢- أن الإنكار كان بين يدي رسول الله ﷺ وليس على المنابر أو في المحاضرات أو الندوات، وبين المنكر إنكاراً شرعياً وصاحب الدعوى مفازات تنقطع دونها أعناق الإبل، وتصبح فيها الصيحات الحماسية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. . . وتدبر قول رسول الله ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر؛ فأمره، ونهاه؛ فقتله**» تجد الدليل في واد والدعوى في واد آخر.

وهو استدلال متهافت متهالك لكنه قد يضلل السالك.

٣- دعوى أن رسول الله ﷺ لم يأمر بقتله باطلة؛ فقد أمر بقتله، كما في «مسند أحمد» (٣ / ١٥) من حديث أبي سعيد الخدري: «وذهب إليه أبو بكر؛ فرآه يُصَلي؛ فكره أن يقتله» وكذلك فعل عمر -رضي الله عنه-: «ولما ذهب إليه علي لم يجده يصلي»، وهو حديث صحيح؛ كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦ / ٩٢٢٥)، وجوّد إسناده الحافظ في «فتح الباري» (١٢ / ٢٩٨).

٤- بل تواتر عن النبي ﷺ أنه أمر بقتلهم، فقال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد شر قتلى تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه**».

فرسول الله ﷺ لم يأمر بقتله وحده بل وقتل فروعه وذريته.

٥- أن رسول الله ﷺ شهّر به وبذريته، وفضحهم على رؤوس الأشهاد، ووصفهم بأنهم كلاب أهل النار؛ فقال: «**الخوارج كلاب أهل النار**».

٦- أن رسول الله ﷺ بيّنَ جهلهم وسفههم، فقال: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**» وقال: «**سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان**».

٧- أن رسول الله ﷺ حذر من فتنتهم وآثارها فقال: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**».

٨- أن رسول الله ﷺ بيّن غلوّهم، وأنهم كلما ازدادوا فيها ازدادوا عن الله بعداً، فقال لأصحابه: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم**».

٩- وأما قوله ﷺ: «**رحم الله أخي موسى، قد أوذي بأكثر من هذا؛ فصبر**» فلا يدل على ما ذهبوا إليه من وجوه:

١- أن ما فعله الرجل مع رسول الله ﷺ أذى، وإلحاق الأذى بالمسلمين حرام؛ لقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»؛ فكيف إذا كان الإيذاء لرسول الله ﷺ؟!

٢- أن ما فعله رسول الله ﷺ صبر وعدم استعجال للعقوبة بالمخالف؛ ولذلك كان حكم الإسلام في الخوارج عدم البدء بقتالهم أو قتلهم حتى يخرجوا؛ كما فعل معهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- فكان يقول: «لن أبدأهم بقتال حتى يبدؤوا وإنهم فاعلون».

هؤلاء هم الخوارج يتعبدون ويتفقهون ويقاتلون لكن على غير سنة؛ فكانت ثمارهم المُرَّة فتن كقطع الليل المظلم حتى يخرج من أعراضهم الدّجال.

نعوذ بالله من الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان، ونسأله الثبات حتى الممات على الإسلام والسنة بفهم السلف خير الأمة.

التقرّب إلى الله بمعصيته

● بقلم: الشيخ سعد الحصيّن

قبل بضع سنوات عُرض عليّ كتاب باللغة الإنكليزية عنوانه: «الإنذار الأخير من الله» كتبه أخ من ألمانيا تحوّل من النصرانية إلى الإسلام، ومن اسم «مارتن هاكلر إلى «محمد البكري» بقصد الإعانة على طبعه، وكان هدفه -فيما ظهر لي- خدمة دين الإسلام بمحاولة إثبات بطلان الأديان قبله وبخاصة اليهوديّة، واعتذرت عن الإعانة على نشره، بل ونصحت مَنْ عرضه علي بعدم نشره من أيّ طريق آخر للأسباب:

١- الظنُّ والعاطفة لا يغنيان من اليقين والعلم شيئاً، قال الله -تعالى-: **﴿إن يتّبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾**، وقال -تعالى-: **﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظنّ لا يغني من الحق شيئاً﴾**، وبالظن والعاطفة ضلّ من قبلنا، وليس لنا أن نكون مثلهم.

٢- في كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ من يقين الوحي المنزّل وفي الفقه فيهما ما يغنيان عن الفكر في هذا الأمر وفي غيره من أمور الدين.

٣- أمرنا الله في محكم كتابه بالإحسان في مجادلة أهل الكتاب بخاصة وغيرهم عامّة، فقال -تعالى-: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾**، وقال تعالى-: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**.

٤- نهانا الله أن نسبَّ آلهة المشركين إذا كان هذا يدفعهم لسب الله، قال -تعالى-: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم﴾**.

٥- اتهام جزء معين من التوراة أو الإنجيل بالكذب أو الرّكاكة أو التناقض؛ لم يبيّنه الكتاب أو السنّة وهو حكم بالظنّ والعاطفة، ومجادلة بالسّوء، ومعصية لله -تعالى- ومخالفةٌ لشرعه؛ لا يفضي إلاّ إلى تأليب أهل الكتاب للردّ بالمثل، ومقابلة الاتّهام بالاتّهام والسَّبّ بالسَّبّ، كما حدث فعلاً في

السنوات الأخيرة، نتيجة لمناظرات «ديدات» العاطفية.

٦- قد يكون النَّصّ أو ترجمته لم يحرّفا وإنما وقع الخطأ في التأويل، كما وقع من بعض المنتسبين إلى الإسلام (أفراداً وفرقاً) من تحريف كلام الله وكلام رسوله عن مواضعه بسبب الجهل أو اعوجاج الفكر أو الغُلو.

٧- ومثالاً على منهاج البحث في هذا الكتاب، وسبباً عملياً لموقفي من أشير هنا إلى ما ورد في الصفحتين (٢٢٨ و٢٢٩) منه محاولة الكاتب تفنيد اليهودية والنصرانيّة بمثل:

١- دعوى «أن اليهود ليسوا من سلالة يعقوب»(!) ثم ماذا؟

٢- بطلان «دعوى اليهود مجيء المخلّص (موشياخ)، والنّصارى (مسايح)، وإثبات مجيء المهدي بل المسيح أيضاً عند المسلمين» والدعوى صحيحة مطلقاً.

٣- وثالثة الأثافي (وأخزاها) محاولة إبطال «زعم اليهود بوجود قبر إبراهيم عليه السلام في مدينة «الخليل»، بدليل أن التوّراة تنصّ على أن إبراهيم اشترى مدفنه في «ما خبلاه» وتبعد ثلاثة كيلومترات تقريباً عن مدينة «الخليل»، وأن مبنى مسجد الخليل (الذي يظمُّ أضرحة أربعة من أنبياء بني إسرائيل وزوجاتهم) شُيِّد بعد موت إبراهيم عليه السلام بألفي عام.

ومع أني أؤيّد الكاتب بوجود الخطأ في تحديد مدفن إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين (عدا نبينا محمد ﷺ) ومدافن الحواريين والصحابة والأولياء (عدا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)؛ فاني لا أجيز له ولا لنفسي مقابلة الظن بالظنّ؛ ولكن وزر وجود الأضرحة في مسجد الخليل يحمله المنتسبون إلى الإسلام الذين شيّدوا هذه الأضرحة بعد أن تسلّم الأيّوبيون مبنى الكنيسة التي شيدّها الصّليبيون على ما يدّعي اليهود أنها قبور أنبيائهم، في حين كانت آخر وصايا النبي ﷺ التّحذير من ذلك ولعن فاعله: **«لعنة الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، قالت عائشة -رضي الله عنها-: «يحذّر مثل الذي صنعوا»، رواه البخاري ومسلم.

وكثير من المنتسبين للإسلام اليوم يتّبعون سنن اليهود والنصارى في هذا المنكر الشنيع الذي اتّفقت كل الرّسالات -بأمر الله- على محاربته، وصدق رسول الله ﷺ: **«لتتبعُنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذرعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»**، ولم يتوقفوا عند مجرد اتباع السّنن السيئة لمن سبق بل نافسوهم عليه وحاربوهم للاستئثار به.

اللهم رد الجميع إلى دينك الحق رداً جميلاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.

عاقبة أهل البدع

● بقلم: الشيخ د. محمد موسى نصر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على خاتم النبيّين محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دخل **أبو موسى الأشعري** -رضي الله عنه- مسجد الكوفة؛ فوجد فيه رجالاً متحلِّقين حلقاً حلقاً، وفي كلّ حلقة شيخ وأمامهم كوم من الحصى، ويقول لهم الشيخ: سبِّحوا مائة؛ فيعدُّون مائة من الحصى، ثمَّ يقول: احمدوا مائة، وهكذا...إلخ، فأنكر ذلك بقلبه ولم ينكره بلسانه، غير أنَّه أسرع مهرولاً إلى بيت **عبدالله بن مسعود**، فسلَّم عليه فردَّ السَّلام، فقال له: يا أبا عبد الرحمن لقد دخلت المسجد آنفاً فرأيت شيئاً أنكرته، واللَّه ما رأيت إلاّ خيراً، وقصَّ عليه أمر هؤلاء الحلق؛ فقال له ابن مسعود: فهل أمرتهم أن يعدُّوا سيّئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء؟! قال: **لم آمرهم بشيء؛ انتظار أمرك**، قال ابن مسعود: هلم بنا فذهبنا إليهم، فسلَّم عليهم ابن مسعود؛ فردُّوا عليه السلام، فقال لهم ابن مسعود: ما الذي أراكم تصنعون يا أُمَّة محمَّد؟! قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التَّسبيح والتَّحميد والتَّهليل والتَّكبير، فقال لهم: ما أسرعَ هلَكَتكم يا أُمَّة محمَّد، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل بعد، وهذه آنيته لم تكسر، إمَّا أن تكونوا على ملَّة هي أهدى من ملَّة محمَّد، أو تكونوا قد افتتحتم باب ضلالة، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، والله ما أردنا إلا الخير، قال: «**وكم من مريدٍ للخير لم يصبه**».

قال **عمرو بن سلمة**: لقد رأيت عامَّة أُولئك -أي: أصحاب الحلق- يطاعنوننا يوم النَّهروان مع الخوارج![1]

قلت: أصابت فراسة ابن مسعود هؤلاء المبتدعه إذ لحقوا بالخوارج بسبب إصرارهم على بدعتهم، وهذه عاقبة من أصرَّ على

(١) رواه الدارمي (١/٦٦) بسند صحيح.

الابتداع، وخالف الرَّعيل الأوَّل.

ولكن قد يقول قائل من أهل زماننا: ما الذي أنكره ابن مسعود؟ وهل ذِكرُ الله بدعة؟!!

نقول: حاشا للَّه أن يكون ذكره -تعالى- بدعة، خصوصاً إذا كان ذكراً مشروعاً، وإنَّما البدعة في الكيفيَّة التي اجتمع عليها هؤلاء والطريقة التي سلكوها في ذكرهم للَّه التي لم تكن من عمل النَّبي ﷺ ولا من عمل أصحابه، والخوارج الذين ذمَّهم الرَّسول ﷺ وقال فيهم: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[1]، إنَّما توعَّدهم ﷺ لما أحدثوا من البدع والمنكرات التي منها:

أنَّهم أخذوا يكفِّرون المسلمين بالمعصية، ويخلِّدونهم في نار جهنَّم مع أنَّ أهل الكبائر لا يخلَّدون في النَّار.

كما أنَّهم أوجبوا على المرأة الحائض أن تقضي الصَّلوات الفائتة كما تقضي الصِّيام.

فغلوا في دينهم وتنطَّعوا أشدَّ التَّنطُّع بل خرجوا على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بل قتلوه ظلماً وزوراً.

ونبيّنا ﷺ يقول: «**إنَّ الله احتجز التَّوبة عن كل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته**» ولسان حال كل مبتدع يقول: هذا هو دين محمَّد بن عبدالله.

وما أروع ما قاله الإمام مالك حيث قال: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمَّداً خان الرِّسالة لأنَّ الله يقول: **﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأتممتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾** [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً، ولن يَصْلُحَ آخر هذه الأُمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلها»[2].

والمبتدع محروم من شربة هنيئة من يده ﷺ ومن حوضه الذي هو أبيض من الثلج وأحلى من العسل.

فقد ثبت من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ليذادنَّ أقوامٌ من أُمَّتي عن حوضي كما تذاد الإبل الغريبة فأقول: يا ربِّ أمَّتي، فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[3].

فهذه هي عاقبة أهل البدع قديماً وحديثاً أعاذنا الله من سوء خاتمتهم، فهل يعي أولئك المبتدعة في كل زمان و مكان سوء منقلبهم؛ فيتوبوا إلى الله توبة نصوحاً نرجو لهم ذلك، والله -تعالى- وحده الهادي إلى سبيل الاتباع.

---

(١) أخره البخاري في «الصحيح» (رقم: ٣٣٤٢ و ٣٦١٠)، ومسلم في «الصحيح» (رقم: ١٠٦٦).

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (١/٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم: ٦٥٢٦)، ومسلم في «الصحيح» (١٥/٥٣-٦٦ / النووي).

الشاطبي حسنة من حسنات مدرسة ابن تيمية

● بقلم: الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

كنت قد ذكرت في مقدمتي لتحقيق «الموافقات» (١ / ٨٢-٨٣) للشاطبي مسألة اجتماع الشاطبي بابن القيم، ومدى استفادته من كتب **شيخ الإسلام ابن تيمية**.

وأجبتُ عن هذا السؤال بما نصه:

إننا نستطيع أن نقرر بكل طمأنينة أن ابن تيمية وابن القيم لم يرد لهما ذكر ألبتة في جميع كتب الشاطبي المطبوعة[1]، ولم أظفر بعد شدّة بحث، وكثرة استقصاء إلى ما مكننا أن نجعل هذا اللقاء ثابتاً، أو في حكم الواقع، ولم أعثر للشاطبي في كتابه هذا على ذكر للحنابلة، وقد صرح فيه (٣ / ١٣١) أن كتب الحنفية والشافعية كالمعدومة الوجود في زمانهم؛ فكيف بكتب الحنابلة؟

لاشك أنه ظفر ببعضها، ولكن بعد كتابته «الموافقات»؛ فها هو يصرح في «الاعتصام» (١ / ٤٦٢- بتحقيق الأخ سليم الهلالي) -وقد أحال فيه كثيراً على «الموافقات» -بقوله: «قال بعض الحنابلة...»، ونقل نصاً طويلاً جهدت في البحث عنه؛ فلم أعثر على لفظه في كتب **ابن تيمية وابن القيم**، وعلى فرض صحة العثور عليه في كتبهما؛ فلا يلزم اللقي بهما أو عثر على كتبهما؛ فلا يبعد أن يكون أخذه بواسطة بعض من له رحلة من المغاربة إلى المشرق، أو عن طريق بعض شيوخه.

وبهذه المناسبة أذكر أن بعض شيوخ الشاطبي قد التقى **بابن القيم**؛ فها هو أبو عبد الله المقري يحكي عن نفسه أنه «لقي شمس الدين بن قيم الجوزية، صاحب الفقيه **ابن تيمية**»[2].

من خلال ما تقدم أستبعد صحة ما ذهب إليه الأستاذ سعد محمد الشناوي في كتابه «مدى الحاجة للأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي» (١ / ١٥) عند كلامه

(١) وقع لابن تيمية ذكر في بعض نسخ «الاعتصام» الخطية، ولكنها من تحريف ناسخها، فقال: «ابن تيمية» بدل «ابن قتيبة» كما ذكرتُه في تعليقي عليه (٢ / ٣٩) يسر الله نشره.

(٢) انظر: «نفح الطيب» (٣ / ٢٥٤)، و«نيل الابتهاج» (٢٥٠).

على تأثر الشاطبي بمن سبقوه، قال ما نصه:

«**وقد تأثر الإمام الشاطبي بما جاء في مؤلفات من سبقه، وهو العز بن عبد السلام، وابن تيمية!! وابن القيم!! والقرافي، ولهذا نجد كتابه مزيجاً وتحليلاً لهذه الآراء القيمة التي استقرت في عقولها نظرية المصالح المرسلة..**»[1].

وأزيد هنا: إن الأستاذ أحمد الريسوني قد ناقش الشناوي في كتابه «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي» (ص٣٢٠-٣٣١ / ط الرابعة)، ولم يوافقه على ما ذهب إليه من استفادة الشاطبي من **ابن تيمية وتلميذه ابن القيم**، وهذا نص كلامه في رده عليه:

«والمؤسف غاية الأسف أن هذا النص ليس فيه جملة واحدة مسلَّمة:

لم يقدم لنا صاحب النص أي دليل ولا أي افتراض على كون الشاطبي قد تأثر بابن تيمية وابن القيم، وأنا أؤكد له أن أياً من الرجلين لم يرد له ذكرٌ بتاتاً فيما هو متداول من كتب الشاطبي.

ورغم أن **ابن تيمية وابن القيم**، كانا قد اشتهرا في المشرق زمن الشاطبي وبعده، فإننا لا نجد لهما ولا لآرائهما أثراً في المغرب والأندلس يومئذ. وبصفة عامة، فإن الفقه الحنبلي، والمؤلفات والأسماء الحنبلية، هي الأقل ذكراً، والأقل أثراً في هذه المنطقة.

وقد وجدت الشاطبي -مرة واحدة- يقول: «قال بعض الحنابلة...»، وذلك فيما يخص دعاوى الإجماع التي لا تثبت، ويستعملها بعضهم في قطع الطريق على البحث والمناقشة لبعض الأمور التي يدعى فيها الإجماع ولا إجماع، ومع هذا، فإني أستبعد أن يكون الشاطبي قد أخذ هذا عن مؤلف حنبلي مباشرة، والمستبعد أكثر أن يكون قد اطلع على بعض مؤلفات **ابن تيمية أو ابن القيم**، خاصة وأنه ليس من أصحاب الرحلات المشرقية، كما هو شأن ابن العربي والطرطوشي مثلاً، اللذين ينقل الشاطبي عنهما كثيراً، وكما هو شأن شيخه أبي عبد الله المقري، الذي حكى عن نفسه أنه: «لقي بدمشق **شمس الدين بن قيم الجوزية**، صاحب الفقيه **ابن تيمية**».

ولكن هذا كله لا يفيد شيئاً في إثبات دعوى الدكتور الشناوي (المحامي)، ولا حتى في إثارة الدعوى أمام القضاء».

قلت: وتبين لي أن (الدعوى) التي أشار لها الشناوي صحيحة، والحكم عليها(أمام الأدلة والبراهين) لصالحه، وقد ثبت لدي ذلك بيقين منذ سنين، وبعد نشر تحقيق «الموافقات» وأدلّل على صحة هذه الدعوى بمايلي:-

(١) وزدّت ما نصه:

وسألت شيخنا الألباني -رحمه الله- عن هذه المسألة؛ فأجاب بأنه لم يثبت عنده، ولم يطلع على ما يسمح بالجزم أو باحتمال أن تكون اللقيا قد تمت بين الشاطبي وابن تيمية أو ابن القيم.

أولاً: قال الشاطبي في «الاعتصام» (١ / ٣٥٦-ط محمد رشيد رضا أو ٢ / ٢٥٦-٢٥٧ / بتحقيقي)؛ ما نصه:

«قال بعض الحنابلة: «لا تعبأ بما يفرض من المسائل ويدَّعى فيها الصِّحة بمجرّد التهويل، أو بدعوى أن لا خلاف في ذلك، وقائل ذلك لا يعلم أحداً قال فيها بالصحة؛ فضلاً عن نفي الخلاف فيها، وليس الحكم فيها من الجليّات التي لا يعذر المخالف [فيها]».

قال: «وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد بن حنبل: «من ادَّعى الإجماع فهو كاذب، وإنما هذه دعوى بشر وابن علية[1]، يريدون أن يبطلوا السنن بذلك» يعني أحمد: أن المتكلِّمين في الفقه من أهل البدع؛ إذا ناظرتهم بالسنن والآثار؛ قالوا: هذا خلاف الإجماع، وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لا يحفظونه إلا عن بعض فقهاء المدينة وفقهاء الكوفة مثلاً، فيدَّعون الإجماع من قلّة معرفتهم بأقاويل العلماء، واجترائهم على ردّ السنن بالآراء، حتى كان بعضهم تسرد عليه الأحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الأحكام؛ فلا يجد له معتصماً إلا أن يقول: هذا لم يقبل به أحد من العلماء، وهو لا يعرف إلا أبا حنيفة أو مالكاً لم يقولوا بذلك، ولو كان علم؛ لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قال بذلك خلقاً كثيراً».

وهذا نص كلام **ابن تيمية** بالحرف في كتابه «**بيان الدليل على بطلان التحليل**» (ص٥٦١-٥٦٢-ط الشيخ فيحان المطيري).

ثانياً: قال الشاطبي في «الاعتصام»[2]، في معرض حديثه عن بيع العينة؛ ما نصه:

«قال بعضهم: عامة العينة إنما تقع عن رجل يضطر إلى نفقة يضُنّ عليه الموسر بالقرض، إلا أن يربحه في المئة ما أحب، فيبيعه ثمن المئة بضعفها أو نحو ذلك».

وهذا الكلام بحروفه في «بيان الدليل» (ص١١٩).

والممعن بما ورد في الكلام على العينة عندهما يجد النقل ظاهراً، ويقطع بأن الشاطبي ينقل من **ابن تيمية**.

ثالثاً: وفي «الاعتصام»[3]، في (الباب السابع) نفسه نصوص في تحريم الخمر والمعازف، وجلها مشترك مع ما في «بيان الدليل» (ص٩٤ و ما بعد) في (الوجه العاشر) ثم في «الاعتصام» (٢ / ٥٨١) و«بيان الدليل» (ص٩٧) فقرة مشتركة، هذا نصها:

(١) في المصادر الأصولية (بشر والأصم) انظر «المسودة» (٣١٦) و«العدة» (٤ / ١٠٥٩-١٠٦٠) لأبي يعلى، ونقل الشاطبي يتطابق مع نقل ابن تيمية هنا.

(٢) (٢ / ٨٤-٨٥-ط رشيد رضا ٢ / ٥٧٦-٥٧٧ / بتحقيق الأخ سليم الهلالي).

(٣) (٢ / ٨٧ وما بعد ط محمد رشيد رضا و ٢ / ٥٧٩ وما بعد / بتحقيق الأخ سليم الهلالي).

«وهذا نص[1] أنّ هؤلاء الذين استحلوا هذه المحارم كانوا متأولين فيها، حيث زعموا أن الشراب الذي شربوه ليس هو الخمر، وإنما له اسم آخر، إما النبيذ أو غيره، وإنما الخمر عصير العنب النيء».

وبعدها عند ابن تيمية: «خاصة، ومعلوم أن هذا بعينه هو تأويل طائفة من الكوفيين».

وبعدها عند الشاطبي: وهذا رأي طائفة الكوفيين».

ولا يشك باحث أن الشاطبي قد نقل هذا النص من كلام **شيخ الإسلام ابن تيمية**.

رابعاً: وفي «الاعتصام» (٢ / ٥٨١) بعد العبارة السابقة في الدليل الثالث «قال بعضهم: وإنما أتي على هؤلاء، حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم ولم يلتفتوا إلى وجود المعنى المحرم وثبوته وهذه بعينها[2] شبهة اليهود في استحلالهم[3] [بيع الشحم بعد جمله، واستحلال[4]] أخذ الحيتان يوم الأحد بما أوقعوها به يوم السبت في الشباك والحفاير ومن فعلهم يوم الجمعة حيث قالوا: ليس هذا بصيد ولا عمل في يوم السبت، وليس هذا باستباحة الشحم[5] بل الذي يستحل الشراب المسكر زاعماً أنه ليس خمراً مع علمه بأن معناه معنى الخمر، ومقصوده مقصود الخمر، أفسد تأويلاً من جهة [أن الخمر اسم لكل شراب أسكر كما دلت عليه النصوص، ومن جهة][6] أن أهل الكوفة من أكثر الناس قياساً، فلئن كان من القياس ما هو حق، فإن قياس الخمر المنبوذة على الخمر المعصوره من القياس في معنى الأصل، [المسمى بانتفاء الفارق][7] وهو من القياس الجلي [الذي لا يسترابه في صحته، فإنه][8] ليس بينها من الفرق ما [يجوز أن][9] يتوهم أنه مؤثر في التحريم».

وهذا النص مع الفروق المذكورة في الهامش وهي قليلة وغير جوهرية بحروفه في «بيان الدليل» (ص٩٧-٩٨).

---

(١) زاد ابن تيمية بعده: «من رسول الله ﷺ وعند الشاطبي بعده: «في»

(٢) عند ابن تيمية: «وهذا بعينه».

(٣) عند ابن تيمية: «استحلال».

(٤) العبارة ساقطة من مطبوع «الاعتصام» وهي في نسخة خطية منه، وعند ابن تيمية.

(٥) في مطبوع «الاعتصام» «الشح» !! وهو على الجادة في النسخ الخطية منه، وكذا عند ابن تيمية.

(٦) سقط من مطبوع «الاعتصام».

(٧) سقط من مطبوع «الاعتصام».

(٨) بدل ما بين المقوفتين في مطبوع «الاعتصام» «إذ».

(٩) سقط من مطبوع الاعتصام.

هذه أدلة جلية فيها نقل الشاطبي في كتابه« الاعتصام» من كتاب **شيخ الإسلام ابن تيمية «بيان الدليل على بطلان التحليل»** والأدلة الأربعة المذكورة كافية للدلالة على استفادة الشاطبي من ابن تيمية، وهذه الاستفادة تعدت الأمثلة والنقل العرضي في مسألة جزئية إلى الأصول والمناهج حتى إنها تشمل (نظرية المقاصد) التي ارتبطت باسم الشاطبي، وارتبط اسم الشاطبي بها، وعده غير واحد مجدداً بسببها، وقد وضع هذا الأستاذ يوسف بدوي حفظه الله- في أطروحته للدكتوراه بعنوان «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»[1] فقال تحت عنوان (مدى استفادة **ابن تيمية** من سابقيه في المقاصد واستفادة لاحقية منه) ما سنذكره تحت (الدليل الخامس) و(السادس) و(السابع).

خامساً: عند الحديث عن المقاصد الأصلية والتابعة في طرق معرفة المقاصد وجدت بعض المقاربات والأتفاقات بين **ابن تيمية** والشاطبي، ومن ذلك:

الأول: استخدم الشاطبي بعض المفردات التي استخدمها ابن تيمية أو شبهها للتعبير عن بعض مقاصد النكاح التبعية، مثل: (السكن والازدواج، والاستمتاع)، (قيامها عليه وعلى أولاده منها أو من غيرها أو إخوته)، (طلبًا لشرف النسب)، (ومواصلة أرفع البيوتات)، (قصد التسبب له حسن).

الثاني: قول الشاطبي: الجهة الثالثة: أن للشارع في شرع الأحكام العادية والعبادية مقاصد أصلية ومقاصد تابعة. فهذا قد سبق جلياً في كلام ابن تيمية.

الثالث: استدلال الشاطبي بالآية: **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾**، وتحليله لها كتحليل ابن تيمية من أن ذكر الله هو المقصد الأصلي من الصلاة، وكونها تنهى عن الفحشاء والمنكر مقصد تابع.

الرابع: استدل الشاطبي بنفس الأدلة التي ساقها **ابن تيمية** -مثل قصة عمر في نكاح أم كلثوم، وقصة الذي أخلص لله أربعين صباحاً لينال الحكمة -على عدم جواز قصد المقاصد التابعة في العبادات دون القصد الأصلي وهو الإخلاص لله.

الخامس: تفريق الشاطبي بين العبادات والعادات، بأن المقاصد التابعة في العبادات إذا كانت مقصودة أصالة لا تصح، وأنها في العادات تصح، مطابق تماماً لما ذهب إليه **ابن تيمية**.

السادس: استدل الشاطبي على تحريم نكاح التحليل بأن من قصد ذلك فقد ناقض مقاصد الشارع من النكاح، وهو ما صنعه **ابن تيمية** تماماً.

(١) (ص٢٦٥ وما بعد/ مرقومة على الآلة الكاتبة).

اعتبار الشاطبي -رحمه الله- المقاصد التوابع مثبتة للمقاصد الأصلية، ومقوية لحكمتها ومستدعية لطلبها وإدامتها هو تمامًا ما اعتبره ابن تيمية

السابع: اعتبار الشاطبي -رحمه الله- المقاصد التوابع مثبتة للمقاصد الأصلية، ومقوية لحكمتها ومستدعية لطلبها وإدامتها هو تمامًا ما اعتبره ابن تيمية -رحمه الله-.

هذه بعض الموافقات بين ابن تيمية والشاطبي التي ذكرها الشاطبي في الموافقات، ولكن الشاطبي قد فارق ابن تيمية، وظهرت عنده النزعة الصوفية عندما سوغ للعبد أن يطلب إلى الله أن يريه خوارق العادات وعجائب المغيبات(١).

سادساً: اعتبار الشاطبي السكوت عن شرع التسبب، أو عن شرعية العمل مع قيام المعنى المتقضي له، مما يعرف به مقصد الشارع، وهذا سبق بيانه في موضعه من طرق معرفة المقاصد.

وتظهر استفادة الشاطبي من ابن تيمية فيما يلي:

الأول: المطابقة والتقارب الشديدين بين كلام ابن تيمية والشاطبي في هذا الطريق؛ فترى القاسم المشترك بينهما اتحاد المعايير الموضوعة لذلك. وإن كانت عند ابن تيمية أدق وأضبط وأظهر وهي قيام المقتضي ووجود الشرط وانتفاء المانع، ثم الأمثلة الموظفة في ذلك متقاربة وهي جمع القرآن في مصحف كما قال ابن تيمية، وجمع المصحف كما قال الشاطبي ثم تعلم العربية وأسماء النقلة للعلم، كما قال الأول، وتدوين العلم كما قال الثاني.

هذا والأمثلة التي جاء بها ابن تيمية أفضل من المثال الذي ساقه الشاطبي وأطال الكلام عليه مع أمثلة أخرى مناسبة لعدم سلامته من الاعتراضات وهو كون سجود الشكر بدعة عند الإمام مالك(٢).

الثاني: أن الشاطبي نقل قول ابن رشد في أن ترك النبي ﷺ أصل من الأصول الذي يستدل به على إسقاط الزكاة من الخضر والبقول(٣)، وهو ما صرح به ابن تيمية من أن أهل الحجاز لا يوجبون الزكاة في الخضروات لما في الترك من عمل النبي ﷺ وخلفائه(٤).

الثالث: قول الشاطبي: «وعلى هذا النحو جرى بعضهم في تحريم نكاح المحلل. وأنها

(١) «الموافقات» (٣ / ١٣٩-١٥٦-بتحقيقي).

(٢) «الاعتصام» (١ / ٣٦٠-٣٦٤- ط رشيد رضا).

(٣) «الموافقات» (٣ / ١٦١-١٦٣ بتحقيقي)،(١ / ٣٦٤-٣٦٥- ط رشيد رضا).

(٤) «القواعد النورانية» (ص١١٠) لابن تيمية.

بدعة منكرة، من حيث وجد في زمانه عليه الصلاة والسلام المعنى المقتضي للتخفيف والترخيص للزوجين، بإجازة التحليل ليراجعا كما كانا أول مرة، وأنه لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاعة على رجوعها إليه، دل على أن التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها، وهو أصل صحيح. إذا اعتبر وضح به الفرق بين ما هو من البدع وما ليس منها، ودل على أن وجود المعنى المقتضي مع عدم التشريع دليل على قصد الشارع إلى عدم الزيادة على ما كان موجوداً قبل، فإذا زاد الزائد ظهر أنه مخالف لقصد الشارع فبطل[1]. فهذا إشارة إلى ابن تيمية وإن لم يصرح به، حينما استدل ابن تيمية على حرمة نكاح التحليل وبدعية الحيل بقوله: «الوجه الثاني: في تقدير أنها بدعة، وهو أنه لا يستريب عاقل في أن الطلاق الثلاث ما زال واقعاً على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه وما زال المطلّقون يندمون ويتمنّون المراجعة، ورسول الله ﷺ أنصح الناس لأمته، وكذلك أصحابه، أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، فلو كان التحليل يحللها، لأوشك أن يدلُّوا عليه ولو واحداً، فإن الدواعي إذا توافرت على طلب فعل وهو مباح فلا بد أن يوجد، فلما لم ينقل عن واحد منهم الدلالة على ذلك، بل الزجر عنه، علم أن هذا لا سبيل إليه، وهذه امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى النبي ﷺ بعد أن تزوجت عبد الرحمن بن الزبير وطلقها قبل الوصول إليها، وجعلت تختلف إلى النبي ﷺ ثم إلى خليفته تتمنى مراجعة رفاعة، وهم يزجرونها عن ذلك، وكأنها كرهت أن تتزوج غيره فلا يطلقها، وكانت راغبة في رفاعة، فلو كان التحليل ممكناً لكان أنصح الأمة لها يأمرها أن تتزوج بمحلل، فإنها لن تعدم من تبيته عندها ليلة ويعطي شيئاً، فلما لم يكن شيء من ذلك، علم كل عاقل أن هذا لا سبيل إليه.. ومن لم تسعه السنة حتى تعداها إلى البدعة مرق من الدين، ومن أطلق للناس ما لم يطلقه لهم رسول الله ﷺ مع وجود المقتضي للإطلاق فقد جاء بشريعة ثانية، ولم يكن متبعاً للرسول ﷺ فلينظر المرء أين يضع قدمه[2].

سابعاً: إن الأدلة التي ساقها الشاطبي للاستدلال بها على قاعدة سد الذرائع[3] لم تخرج عن أدلة **ابن تيمية** على ذلك؛ ثم إن

(١) «الموافقات» (٣ / ١٦٤-بتحقيقي).

(٢) «بيان الدليل» (١٨٠-١٨١).

(٣) «الموافقات» (٣ / ٧٦-٨٥- بتحقيقي).

هناك عبارات وافق فيها الشاطبي تعبير ابن تيمية مثل:

١- قال الشاطبي: «**وكان النبيَ يكف عن قتل المنافقين؛ لأنه ذريعة إلى قول الكفار إن محمداً يقتل أصحابه**»[(١)].

وقال ابن تيمية: «**إن النبي ﷺ كان يكف عن المنافقين مع كونه مصلحة، لئلا يكون ذريعة إلى قول الناس إن محمداً يقتل أصحابه**»[(٢)].

٢- بعد ذكر الشاطبي الأحاديث التي تنهى عن شرب الخليطين وعن شرب النبيذ بعد ثلاث ... وأن النبي ﷺ قال: «**لو رخصت في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه**» قال: «يعني: أن النفوس لا تقف عند الحد المباح في هذا»[(٣)]، وهذه عبارة ابن تيمية تماماً.[(٤)]

ثامناً: إن الأدلة التي ساقها الشاطبي على تحريم الحيل[(٥)] لم تخرج عن الأدلة التي ذكرها ابن تيمية[(٦)] قيد أنمله، والعبارات التي ساقها الشاطبي حول هذا الموضوع لم تخرج عن المعاني التي ساقها ابن تيمية، فما بسطه ابن تيمية وفصله، أوجزه الشاطبي واختصره.

ولعلنا من خلال هذه الأدلة نكون قد وقفنا على ما يُطمئن من استفادة ومعرفة الشاطبي لآراء **ابن تيمية**، ونكون قد قمنا بما أشار إليه الأستاذ حمّادي العبيدي في كتابه «الشاطبي ومقاصد الشريعة» (ص٢٣٩) حيث قال:

«**إن المتأمل في موقف الشاطبي من البدع، وبناء إصلاحه على تطهير الإسلام منها، يجد شَبَهاً قوياً بينه وبين ابن تيمية الذي نادى هو أيضاً بتطهير الدين من مظاهر الشرك؛ كتقديس الأضرحة، وإعادته إلى ما كان عليه من صفاءِ زمن الرسولَ وخلفائه الراشدين**.

قد يكون الشاطبي عرف آراء **ابن تيمية** عن طريق شيخه أبي عبدالله المقري الذي ارتحل إلى المشرق، والتقى **بابن القيم** تلميذ **ابن تيمية**، حامل لواء الدعوة إلى مذهب شيخه. ولكن تحقيق ذلك يحتاج إلى بحث مستقل تقع فيه المقارنة بين آثار هؤلاء الأعلام الثلاثة، وهم متعاصرون حيث كانوا جميعاً من رجال القرن الثامن للهجرة»، والله من وراء القصد.

(١) «الموافقات» (٣١ / ٧٦- بتحقيقي).
(٢) «بيان الدليل» (ط ٣٥٤).
(٣) «الموافقات» (٣ / ٨٠-٨١- بتحقيقي).
(٤) «بيان الدليل» (ص٣٥٥).
(٥) «الموافقات» (٣ / ١٠٩-١١٩- بتحقيقي).
(٦) «بيان الدليل» (ص٥٧-٣٥٣).

العدوان الروسي على الشيشان

● بقلم: خير الدين وانلي

شيشان عرين الإيمان
صمدت في وجه الكفران
دبابة (يلسن) لم تفلح
في سحق الشعب الشيشاني
في (غروزني) لم يُبقوا سقفاً
مرفوعاً فوق الجدران
أطفال صاروا أشلاء
هتكت أعراض النسوان
وشيوخ دفنت أعظمهم
خروا صرعى للأذقان
آلاف ماتوا من برد
والثلج لحاف الوديان
والجوع يفطر أكباداً
تشوى بلهيب النيران
أجساد تحت الأنقاض
لا يعرف قاص من دان
ترك الشيشان منازلهم
هاموا في كل البلدان
والذنب الأوحد إسلام
جعلوه رمز العدوان
الروس يخافون الأعزل
يرمون بكل النيران
عن بعد كل معاركهم
فقدانهم بالأطنان
يخشون مواجهة الأبطال
فحرب القرب لشجعان
أما الجبناء فحربهم
من خلف سميك الجدران
كحروب يهود في الماضي
في (خيبر) ذات الإحصان
ما قاتل من أسلم هوداً
إلا من خلف الجدران
لم يختر روسي حرباً
إلا بمدافع ميدان
أو بالصاروخ العالي
والليزر رمز الإتقان
أو بالدبابات العظمى
ورواجم شبه البركان
ما هذي حرب عادلة
بل طغيان في العدوان
والعالم يشهد لا يرثي
للطفل وللشيخ الفاني

الأول في ذي القعدة/ ١٤٢٠ هـ

قواعد في معاملة المخالفين للسنة

● بقلم: الشيخ عبدالله بن صالح العبيلان

هذه قواعد في معاملة المخالفين للسنة والحكم عليهم بالبدعة أو بالخروج من السنة:

الأولى: لا ينظر إلى كون الإنسان من أهل السنة أو أصوله -بزعمه- أصول أهل السنة لا ينظر إلى نيته وقصده إذا ظهر ما يخالفها.

روى البخاري بسنده أن عبد الله بن عتبة قال: سمعت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: «إن أناساً كانوا يأخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم؛ فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء فالله يحاسب سريرته، ومن أظهر لنا سوءً لم نأمنه وإن قال إن سريرته، ومن أظهر لنا سوءً لم نأمنه، وإن قال إن سريرته حسنة».

الثانية: لا ينظر في هذا الباب إلى صفات الإنسان الحسنة من دعوة وسخاء وغير ذلك من الصفات، فليس المقصود النوات، وإنما المقصود هو الذبُّ عن السنة والكتاب.

روى اللالكائي «في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» عن ابن مسعود: قال: «**الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة**»(١)، وروي أيضاً عن أبي الدرداء قال: «**اقتصاد في سُنّة خير من اجتهاد في بدعة**»(٢).

وذكر الحافظ الذهبي في ترجمة الحسن بن صالح؛ قال وكيعٌ: جزأ الحَسَنُ قال: وأمه وأخوه الليل مثالثة -أي: ثلاثة أجزاء- للعبادة؛ فماتت أمه فقسم الليل بينهما، فمات أخوه فقام الحسن بالليل كله».

وعن أبي سليمان الداراني قال: ما رأيت

لا ينظر في هذا الباب إلى صفات الإنسان الحسنة من دعوة وسخاء وغير ذلك من الصفات، فليس المقصود الذوات، وإنما المقصود هو الذبُّ عن السنة والكتاب

(١) رواه اللالكائي (١/ ٥٥).

(٢) رواه اللالكائي (١/ ٨٨).

من الخوف أظهر عليَّ من الحسن بن صالح، قام ليلة بعمٍّ يتساءلون، فغشي عليه؛ فلم يختمها إلى الفجر» وثَّقه أبو حاتم وأحمد، وقال أبو زرعة: اجتمع في الحسن إتقان وفقه وعبادة وزهد.

قال الذهبي: قلت: مع جلالة الحسن وإمامته؛ **كان فيه خارجية ترك الجمعة** وجاء فلان فناظره ليلةً فذهب الحسن إلى ترك الجمعة معه والخروج عليهم بالسين -أي: الظلمة- ولذلك هجره الأئمة في زمانه، ولم يصلوا عليه حين مات».

وأصوله هي أصول أهل السنة والجماعة لكنه خالف في هذه المسألة من الدين؛ وإلا فلم يوصف بكونه ثقة ويحمل عنه الحديث.

وذكر الحافظ بن حجر في ترجمة: عبد العزيز بن أبي روَّاد -واسمه ميمون-: قال يحيى القطان: عبد العزيز ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن المبارك: كان يتكلم ودموعه تسيل على خده.

وقال شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إلى عبد العزيز رأيت كأنه يطلع إلى القيامة وقال ابن سعد في «الطبقات»: وله أحاديث وكان مرجئاً، وكان معروفاً بالورع. هجره أئمة السنة في زمانه وكرهوا مجالسته، فلما مات وقف سفيان الثوري على جنازته ثم ذهب وشقَّ الصفوف وتركها، ليبين أنه مبتدع.

وأيضاً قد يقول المتقدمون من السلف الصالح عن الرجل: شيعياً ولو كانت أصوله أصول أهل السنة والجماعة إذا كان يفضل علياً على أبي بكر وعمر بل هو مدوَّن في عقائدهم.

زعم الإنسان أنه يأخذ بالكتاب والسنة لا يكفي إذا لم يعمل بها ويذبّ عنهما

الثالثة: زعم الإنسان أنه يأخذ بالكتاب والسنة لا يكفي إذا لم يعمل بها ويذبَّ عنهما.

روى اللالكائي بسنده الصحيح عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده، وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم؛ فعليكم بالعلم وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق»(١)

وروي أيضاً عن محمد بن سيرين قال: **«كان يرونه على الطريق ما دام على الأثر»**.

وروي أيضاً عن أبي إدريس قال: «أدركت أبا الدرداء ووعيت عنه، وأدركت عبادة بن الصامت ووعيت عنه، وأدركت شداد بن

(١) اللالكائي (٨٧/١)، ورواه الدارمي عن أيوب به، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٢٤-٢٥).

أوس ووعيت عنه، وفاتني معاذ بن جبل؛ فأخبرت أنه كان يقول في كل مجلس يجلسه: «الله حكمٌ قسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنٌ يكثر فيها المال، ويفتح فيه القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير؛ فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن، فيقول: قد قرأت القرآن فمال الناس لا يتبعوني؟ وقد قرأت القرآن ثم ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره، وإياكم ما ابتدع؛ فإن ما ابتدع ضلالة، واتقوا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان يلقي على الحكيم الضلالة، ويلقي على المنافق كلمة الحق»[1].

الرابعة: عدم التهاون بالصغير من مخالفة السلف، أو التورع بالقول عن البدعة بدعة، فقد روى اللالكائي عن عبدالله بن مسعود: «قال يجيء قومٌ يتركون من السنة مثل هذا -يعني: مفصل الأصبع- فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى، وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون السنة وإن أخر ما يتركون الصلاة ولولا أنهم يستحيون لتركوا الصلاة».

وروى عن ابن عمر قال: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة».

❖ عدم إنكار البدع خشية الخلاف مما ينشرها ويميت السنة:

فقد روى اللالكائي عن ابن عباس قال: «ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن» وسمعته يقول: «حتى تظهر البدع»[2].

وروى عن حسان بن عطية قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة»[3].

وروى عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: «ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مُضياً ولا تركت سنة إلا ازدادت هوياً»[4].

❖ وجوب الاقتداء في السلف، وأنهم المرجع في تمييز الأقوال صحيحها من سقيمها:

قال عليه -الصلاة والسلام-: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور...» الحديث.

وروى اللالكائي: عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر فإن كنتم لابد مقتدين فبالميت فإن الحي لا يؤمن عليه

(١) اللالكائي (١/ ٨٩)، وأخرجه أبو داود من طريق ابن شهاب، وعبدالرزاق في «المصنف» برقم (٢٠٧٥٠).

(٢) ورواه ابن وضاح كذلك.

(٣) ورواه ابن وضاح كذلك.

(٤) ورواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٤٤).

الفتنة»[1].

وروى عن عمر بن عبد العزيز قال: «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمور بعده سناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله -عز وجل- واستكمال لطاعته على دين الله ليس لأحد تغييرها ولاتبديلها ولا النظر في رأي من خالفها؛ فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بما بصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله -عز وجل- ما تولاّه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»[2].

قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة؛ فاعلم أنهم على تأسيس ضالة

❖ الحذر والتحذير من أهل الأهواء والبدع، وأنهم هم الذين يشقون صفوف الأمة:

روى اللالكائي عن سفيان الثوري قال: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية والمعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها».

وروى عن قتادة قال: «يا أحول! إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تحذر».

وروى عن يحيى بن أبي كثير قال: «إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ غيره».

وقال أبو قلابة: «ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف».

وروى عن ابن عمر قال: «ما فرحت بشيء من الإسلام أشدَّ فرحاً بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء».

وعن الحسن قال: «أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى».

❖ غيبة أهل البدعة:

وروى عن الحسن -رحمه الله- قال: «ليس لصاحب بدعة ولا لفاسق يعلن فسقه غيبة».

وعن إبراهيم النخعي قال: «ليس لصاحب البدعة غيبة».

❖ أهل البدع كلهم خوارج:

قال[3]: وكان أيوب يسمى أهل الأهواء كلهم خوارج ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الرسم، واجتمعوا في السيف».

❖ مآل أهل البدعة إلى الذل:

وروى عن سلام بن أبي مطيع، قال: رأى أيوب رجلاً من أهل الأهواء، فقال إني أعرف الذلة في وجهه ثم قرأ: ﴿**إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين**﴾ ثم

(١) اللالكائي (١/ ٩٣) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٠).

(٢) رواه الآجري في «الشريعة».

(٣) أي: اللالكائي -رحمه الله-.

قال: «هذه لكل مفتر».

❖ طريق ومسالك أهل البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

«وليحذر العبد مسالك أهل الظلم والجهل الذين يرون أنهم يسلكون مسالك العلماء يسمع من أحدهم جعجعةً ولا ترى لهم طحناً، فترى أحدهم أنه في أعلى الدرجات وفي أعلى درجات العلم وهو إنما يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا ولم يحُمْ حول العلم الموروث عن سيد ولد آدم ﷺ وقد تعدَّى على الأعراض والأموال بكثرة القيل والقال، فأحدهم ظالمٌ لم يسلك في كلامه مسلك أصاغر العلماء بل يتكلم بما هو من جنس كلام العامة الضلال والقصاص الجهال ليس من كلام أحدهم تصوير للصواب ولا تحرير للجواب كأهل العلم أولي الألباب، ولاعند خوض العلماء أهل الاستدلال والاجتهاد، ولا يحسن التقليد الذي يعرفه متوسطة الفقهاء لعدم معرفته بأقوال الأئمة ومآخذهم والكلام في الأحكام الشرعية لا يقبل من الباطل والتدليس ما ينفق على أهل الضلال والبدع الذين لم يأخذوا علومهم من أنوار النبوة وإنما يتكلمون بحسب آرائهم وأهوائهم؛ فيتكلمون بالكذب والتحريف، فيدخلون في دين الإسلام ما ليس منه، وإن كانوا لضلالهم يظنون أنهم منه، وهيهات، هيهات فإن هذا الدين محفوظ بحفظ الله له.

ولما كانت ألفاظ القرآن محفوظة منقولة بالتواتر لم يطمع أحدٌ من إبطال شيء منه ولا في زيادة شيء فيه بخلاف الكتب قبله قال -تعالى-: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** بخلاف كثير من الحديث؛ طمع الشيطان من تحريف كثير منه وتغيير ألفاظه بالزيادة والنقصان والكذب في متونه واسناده؛ فأقام الله له من يحفظه ويحميه وينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ فبينوا ما أدخل أهل الكذب فيه وأهل التحريف في معانيه كما قال ﷺ: **«لا يزال طائفة من أُمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة»**.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: **«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»**.

وقد وقع في هذا الباب كثير من الفقهاء والعامة ونحوهم ممن فيه زهد ودين وصلاح، ولكن كل من لم يكن علمه وعمله يرجع إلى العلم الموروث عن الرسول ﷺ مقيداً بالشريعة النبوية لم يخلص من الأهواء، والبدع بل كله أهواء وبدع، وقد قال ابن

مسعود وأبي بن كعب: «**اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة**»؛ فانظروا أعمالكم إن كانت اقتصاداً أو اجتهاداً أن تكون على منهج الأنبياء وسنتهم، وقد قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» - وفي رواية-: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» . -إلى أن قال- رحمه الله: وقال أبو بكر بن عياشَ لما قيل له إن في المسجد أقواماً يجلسون ويجلس إليهم فقال من جلس للناس جلسوا إليه، **ولكن أهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم** لأنهم أحيوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيبٌ من قوله -تعالى: «**ورفعنا لك ذكرك**» -وأهل البدع يموتون ويموت ذكرهم ؛لأنهم شانوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ؛ فبترهم الله فكان لهم نصيبٌ من قوله -تعالى-: «**إن شانئك هو الأبتر**» أ.هـ.

ولهذا كانت أصول الإسلام -كما قال الإمام أحمد وغيره- تدور على ثلاثة أحاديث «**الحلال بين والحرام بين**»، وقوله: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» و«**إنما الأعمال بالنيات**»، وذلك أن الدين فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه والنهي عنه ذكره في حديث «الحلال بين والحرام بين» وذكر حكم ما يشتبه به وما لا يشتبه به.

تم بحمد الله وعونه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من آثار البشير الإبراهيمي

العدد (٩)، جريدة البصائر، سنة ١٩٤٧

يا أبنائي.. إن أسلافكم كانوا يعدون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه، بل كانوا -في دولة الرواية- يعدّون الرحلة للقاء الرجال من شروط الوجوب؛ فكانوا يقطعون البراري والصحاري والقفار، ويلقون في سببه المعاطب والآخطار، وكانوا يجوعون في سبيله ويعرون، ويظمأون ويضحون، لا يشتكون الفاقة والنّصب، ولا يعدون الراحة إلا التعب، ولكنهم لا يضيعون أوقاتهم -إذا وصلوا إلى أمصار العلم ولقوا رجاله- في مثل ما تضيعون فيه أوقاتكم من إسفاف ولغو؛ بل كانوا يحاسبون أنفسهم على الدقيقة أن تضيع إلا في استفادة وتحصيل؛ فتعالوا نقارن سيرتكم بسيرتهم، وتحصيلكم بتحصيلهم، ثم نتحاسب على النتيجة!

كانوا يقيدون وأنتم لا تقيدون، وكانوا ينسخون الأصول بأيديهم ويضبطونها بالعرض والمقابلة حرفاً حرفاً وكلمة كلمة؛ وأنتم أراحتكم المطابع، ويسرت لكم الكتب؛ وربّ تيسير جلب التعسير؛ فإن هذا التيسير رمى العقول بالكسل، والأيدي بالشلل، حتى لا تجري في إصلاح الأغلاط المتفشية في تلك الكتب.

وكانوا يرجعون بالرواية الواسعة والمحفوظ الغزير، وينقلون الجديد من العلم، والطريف من الآراء، والمفيد من الكتب -من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق- فانظروا بماذا ترجعون أنتم اليوم؟

وكانوا ينقطعون عن أهليهم وديارهم انقطاعاً متصلاً يدوم سنوات، وأنتم تزورون أهلكم في كل موسم، وفي كل عطلة، ويزورونكم، وتخاطبونهم في اليوم الواحد ويخاطبونكم.

الحقيقة أننا لا نسمي رحلتنا اليوم رحلة إلا بضرب من التوسع، كما نسمي السفر بالطائرة سفراً، ونضعه بجنب السفر على الإبل.

الحلقة الثانية

التوضيح والبيان لمعاني الإحسان

● بقلم: أبي عبدالرحمن محمود المهر

٥- ذكر أنواع الإحسان:

لقد ذكر بعض أهل العلم أنّ الإحسان ينقسم إلى قسمين:

الأول: إحسانُ عبادة الخالق -عز وجلّ- وهي المشار إليها في الحديث:

«...أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإنْ لم تكُنْ تراهُ؛ فإنَّهُ يراك».

«مسلم بشرح النووي» (ج١ / ١٥٧ و ١٥٨).

الثاني: الإحسان إلى المخلوق، وذلك بإيصال النفع الديني والدنيوي إليه ودفع الضرر عنه حسب الاستطاعة.

وهذا ما ذكره مؤلف «الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية» (ص١١١).

وقد ذكر الشيخ صالح بن فوزان -حفظه الله- أنّ الإحسان يقسم إلى ثلاثة أنواع وقد ذكر كلاماً طيباً في كتابه. «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية».

وأنا أُضيف إليها نوعاً رابعاً ألا وهو إحسانُ الخالق -سبحانهُ- إلى خلقه كما جاء بذلك الكتاب العزيز قال -سبحانه-: **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾**[القصص: ٧٧].

والسنة النبوية المطهرة: عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله محسنٌ فأحسنوا**» «صحيح الجامع» (١٨٢٣).

١- إحسان الخالق -سبحانه- إلى خلقه:

وإحسان الخالق -تبارك وتعالى- إلى خلقه شامل لكلِّ شيءٍ من مخلوقاتهِ.

قال -سبحانه وتعالى-: **﴿الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلقَ الإنسان من طين﴾** [السجدة: ٧].

وإحسانه سبحانه إلى خلقه يقسم إلى قسمين:

أ) إيجاد وإتقانُ خلقهِ وإتمامه على أحسن صورة وأكمل هيَئة:

قال -تعالى-: **﴿الله خالق كلِّ شيء وهو على كل شيء وكيل﴾**[الزمر: ٦٢].

وقال: ﴿**وصوركم فأحسن صوركم**﴾.

وقال -جل وعلا-: ﴿**الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ [سجدة: ٧].

وقال -تعالى-: ﴿**صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبيرٌ بما تفعلون**﴾[النمل: ٨٨].

قال ابن كثير -رحمه الله- (٣ / ٤١٦) في تفسير قوله -تعالى-: ﴿**الذي أتقن كل شيءٍ**﴾؛ أي: أتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع.

فالله تبارك و تعالى هو المنفرد بالخلق وحده وما جاء في الأحاديث الصحيحة من إضافة الخلق إلى بعض المخلوقين كقوله عليه الصلاة و السلام: «من صور صورةً كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً». أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» البخاري ومسلم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ الذي يرويه عن ربه -عز وجل-: «...ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرةً؛ فليخلقوا شعيرة»، البخاري.

فخلق غير الله سبحانه خلقٌ ناقصٌ محدود يتناسب مع ضعفهم وعجزهم فهم لا يستطيعون أن يوجدوا من العدم أو يحيوا ميتاً.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-: «إنّ غير الله -تعالى- لا يخلق كخلق الله؛ فلا يمكنه إيجاد معدوم ولا إحياءُ ميت، وإنما خلق غير الله -تعالى- يكون بالتغيير، وتحويل الشيء إلى صفةٍ أخرى وهو مخلوقٌ لله -عز وجل- فالمصور إذا صور صورةً فإنه لم يحدث شيئاً غاية ما هنالك أنه حول شيئاً إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة؛ فالمداد هو من خلق الله -عز وجل- والورقة البيضاء من خلق الله -عز وجل- هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله -عز وجل- وإثباتُ الخلق بالنسبة إلى المخلوق، وعلى هذا يكون الله -عز وجل- منفرداً بالخلق الذي يختص به»[1].

قلت: فالله -تبارك وتعالى- هو الخالق الحقيقي لكل شيء وما سواه فمخلوق مربوب، قال عليه الصلاة والسلام: «**إنّ الله تعالى خالق كل صانع وصنعته**».

«صحيح الجامع» (رقم ١٧٧٧).

واتقان خلقه وإتمامه وإيجاده على أحسن

(١) «مجموعة فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (٢ / ٩).

صورة وأكمل هيئة يشمل كل شيءٍ.

٢- إحسان الله -تعالى- إلى خلقه بالنعم عليهم:

فالله -تبارك وتعالى- أنعم على عباده بنعم كثيرةٍ منّةً مِنْهُ وفضلاً على عباده، فمن ذلك:

١- نعمة الدين، وهي أعظم نعمةٍ حيث أنزل الله الكتب على رسله ليرشدوا خلقه إلى عبادته وحده لا شريك له، قال سبحانه ممتناً على عباده: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[المائدة: ٣].

فمن عبد ربّه وحدَه لا شريك له، وأطاع رسله واتبع شرعه، كان من أهل الجنة ومن خالف؛ فكفر، ولم يعبد الله -جل وعلا- كان من أهل النار.

قال سبحانه: ﴿**تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين**﴾[النساء: ١٣-١٤].

٢- الأنعام والخيل والبغال والحمير التي خلقها الله سبحانه لينتفع بها ومنها:

قال -سبحانه-: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوفٌ رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق مالا تعلمون**﴾[النحل: ٥-٨].

وقال سبحانه: ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين**﴾[النحل: ٦٦].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية (٢ / ٦٣٣): «وقوله -جل وعلا-: ﴿من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً﴾؛ أي: يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته، ما بين فرثٍ ودم في باطن الحيوان؛ فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته، فيصرف منه دمٌ إلى العروق، ولبنٌ إلى الضرع، وبولٌ إلى المثانة، وروثٌ إلى المخرج وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجُهُ بعد انفصاله عنه ولا يتغير به.

ونعم الله كثيرةٌ لا يحصيها عدٌّ ولا يحيطُ بها أحدٌ إلا الله سبحانه.

قال -جل وعلا-: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفارٌ**﴾[إبراهيم: ٣٤]؛ فمن شكَر نعمة الله سبحانه زادها الله عليه، ومن كفرها زالت وعذب بذلك لا محالة.

قال الله -جلا وعلا-: ﴿**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي**

لشديد﴾[إبراهيم: ٧].

٢- إحسان عبادة الخالق -جلَّ وعلا-:

وإحسان عبادة الله (الخالق) جل وعلا يتكون من ركنين أساسيين:

الأول: الإخلاص لله -عز وجل-.

الثاني: أداء العبادات وفق الشرع الحنيف.

واعلم يا أخي -وفقني الله وإياك إلى الحق وإلى صراط مستقيم- أن هذين الركنين لابد منهما في كل عبادة يتعبد بها المسلم ربه -جل وعلا- وهما ركنا العمل المتقبل كما يقول ابن كثير -رحمه الله- وغيره، فإذا فقد أحدهما فقد الآخر. وأدلتهما في القرآن والسنة كثيرة جداً.

١- الإخلاص:

قال سبحانه -وتعالى-: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾[البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿**فاعبد الله مخلصاً له الدين**﴾[الزمر: ٢].

وقال سبحانه: ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾[الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿**قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين**﴾[الزمر: ١١].

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...**». [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة أنه قال: قيل: يا رسول الله من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا أحدٌ أولى منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»[البخاري].

فمن لم يخلص في عمله بل راءى الناس لم يقبل منه عمله، وعذب بذلك، وأنا أسوق هذه الرواية تحذيراً من الرياء وحضاً على الإخلاص في كل عمل؛ لأنه ركن من أركان العلم الصالح.

فعن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ.

قال: نعم؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال مما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على

(١) أي: ناتل الشام بن قيس الحزامي من أهل فلسطين، وهو تابعي (كبير قومه).

وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال :كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل؛ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار» [«صحيح مسلم»].

قال النووي -رحمه الله-: «وإدخالهم النار دليلٌ على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال» [«مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٥٠-٥١)].

٢-أداء العبادات وفق الشرع الحنيف:

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما يقول ابن تيمية -رحمه الله تعالى- [العبودية: ص٣٨]؛ فالعبادة حتى تكون مقبولة لابد وأن تكون وفق الشرع الحنيف، فإذا لم تكن كذلك لم تقبل كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ**» [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية: قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ» [رواه مسلم].

ومعنى قوله: «فهو ردٌ»؛ أي: مردود على صاحبه غير مقبول.

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: «فهذا الحديث بمنطوقة يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشرع؛ فهو مردود» «جامع العلوم والحكم» (ص٥٨).

فإحسان عبادة الخالق -جل وعلا- هو أداؤها بشروطها وأركانها وسننها وواجباتها وأوقاتها وفق الشرع الحنيف، فمن فعل فقد أحسن عبادة ربه -عزّ وجلّ-، ومن أنقص من واجباتها وسننها شيئاً انتقص من أجره بقدر ذلك، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إنّ الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها».

فإذا أخل بشيء من شروطها وأركانها بطلت صلاته، ولم يكن محسناً بل كان مسيئاً كما في حديث المسيء صلاته.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى ثم جاء، فسلم على رسول الله

ﷺ فرد رسول الله ﷺ السلام قال: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصل» فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم جاء النبي ﷺ فسلم عليه فقال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام -ثم قال: ارجع فصلِّ فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات»؛ فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا علمني، قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

فمن اقتدى بالنبي ﷺ في شأنه كله وامتثل أمره حيث قال -عليه السلام-: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» [البخاري ومسلم].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» [مسلم].

وكذلك في الصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت عبادته مقبوله وهو من المحسنين بإذن الله -تبارك وتعالى-، ولا شك أن المحسن أول ما يؤديه من حقوق الله -عز وجل- ما افترضه الله عليه ولا يكتفي بهذا، بل يقوم بعد الفرائض بأداء النوافل كحج النافلة وصوم النافلة والصدقة وصلاة التسابيح والضحى وقيام الليل الذي امتدح الله أهله حيث قال: ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾[الذاريات: ١٧-١٨].

وقد جاء في حديث علي عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس» [رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو نعيم في «الحلية» والحاكم في «المستدرك»].

٣- الإحسان إلى عباد الله عز وجل:

والإحسان إلى عباد الله تعالى يشمل أمرين:

١- إيصال النفع الديني إليهم، وذلك بتعليمهم ما ينفعهم في دنياهم وأُخراهم برفق وحكمة ولين، وهذا يشمل تعليم الجاهلين وهداية الضالين.

٢- إيصال النفع المادي والمعنوي إليهم وذلك بالإنفاق على الفقراء والمساكين والمحتاجين وإزالة كرباتهم وتفريج همومهم بحسب قدرته وطاقته، سواءٌ أكان ذلك بماله أو بجاهه أو برأيه، قال النبي ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخره والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[مسلم].

وقفات منهجية مع كتاب «لماذا أعدموني»

● بقلم: أبي عبدالباري عبدالحميد العربي الجزائري

لقد غلا بعض الكتاب كثيراً بهذا الكتاب «لماذا أعدموني» حتى جعلوه عمدتهم التي يرتكزون عليها؛ لتسويغ نقولاتهم عن سيد قطب -رحمه الله- مطلقاً، مغترين بكلمة مجملة قالها سيد في هذا الجزء السياسي (ص٦٩) حيث قال: «... ولابد إذن أن تبدأ الحركة الإسلامية من القاعدة، وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول، وتربية من يقبل هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة، تربية إسلامية صحيحة، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولة فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي، لأنها عرفته على حقيقته وتريد أن تحكم به» أ.هـ

قلت: وهذه كلمة حق لو وافقت الواقع وتمثلها أتباعه، ولكن جاءت قرائن في نفس الجزء توضح ما هي العقيدة والتربية التي كان يسمو إليها سيد، وهي جزماً ليست **العقيدة السلفية، ولا التربية السلفية**، وكأنّ هؤلاء البعض لم تقع عينه إلا على هذه المقولة الخيالية، وأعرض عما جاء في باقي الجزء من طامات، إما قصداً أو جهلاً، وأحلاهما مُرّ، وأهونهما شرّ؛ ليلبس على السلفيين، وصدق الله حين يقول: **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾**.

وإليك القرائن -ياطالب الحق والهداية-، الدالة على أن سيداً أراد من التربية والعقيدة ما بسطه في «الظلال»، و«العدالة الاجتماعية»، و«السلام العالمي والإسلام»، و«معركة الإسلام والرأسمالية»، و كذا ما جاء به المودودي في كتبه المتعددة من غير تحديد ، وقبل أن أجيبك -يا طالب الحق- أود أن أطلعك على كتاب: «**لماذا أعدموني**» بصورة خاطفة على جناح السرعة، حتى يسهل عليك استيعاب القرائن.

لقد قرأت هذا الجزء «**لماذا أعدموني**» مرتين

أو أكثر، واعتمدت على الطبعة الخامسة، وكنت أظن أني أجد فيه ما زمجر به بعضهم، ولكن أقول مثل ما قال عبد الله بن المبارك: -رحمه الله- «**لو خيرت بين أن أدخل الجنة، وبين أن ألقى عبد الله بن محرر؛ لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه**»(١).

واعلم يا طالب الحق والهداية: أن أول أمر لفت نظري، وأوقفني مذهولاً: أن هذا الجزء لم يبتدء فيه ناشره ولا كاتبه بالبسملة، ولا الحمد والثناء على الله فقلت: كأن سيداً كتبه في حالة استنفار قصوى، أو في معركة الوغى، فحذف البسملة لرفع الأمان، وإنذار محاكميه بالسيف والسنان(!)

ثانياً: ختمه بقوله: السلام على من اتبع الهدى، وهذه التحية خاصة بالكفار وأهل الكتاب؛ كما بوب البخاري في «الأدب المفرد»: (**باب كيف يكتب إلى أهل الكتاب**). ولست أدري أقالها عن جهل، وهذا يؤيد أنه جاهل بالشريعة وأحكامها، فكيف يدعو إلى العقيدة والتربية من كان حاله هكذا، وإما قصداً، وهذه أعظم وأكبر، وفحواه أنه يكفر من حاكمه وباقي البشر، إلا النزر القليل الذي يدرب في الجبال، لمواجهة من كفر، كما سترى وتبصر.

ثالثاً: كيف يكون هذا الجزء البطاقة التي ترجح الميزان، وتطيش بباقي مآثره كـ«الظلال» و«العدالة الاجتماعية» كما زعم، وصاحبه لم يورد فيه آية ولا أثر، بل قارؤه يخيل إليه أنه يقرأ لعسكري يخطط لانقلاب في السَّحَر.

وإليك الآن القرائن التي تبين أنه على العهد القديم مستقر، وأن دعوة الرجوع ليس لها أثر، وكل ما جاء به المهرجون أمام ما ترى مندثر.

قال في (ص٧٣): «وعقب خروجي من السجن في العام الماضي حضرت إلى مصر السيدة خيرية الزهاوي بنت أخي(٢) الأستاذ الشيخ أمجد الزهاوي كبير علماء العراق للاستشفاء واستشارة الأطباء، وقد حضرت عندنا تحمل إليّ تحيات وتهنئة فضيلة عمها الأستاذ أمجد، وفرحه بخروجي بعد قلقه عما كان يترامى من أخبار سوء صحتي في السجن وإشاعات موتي أحياناً، وأنه تحدث بشأني مع سيادة الرئيس عبد السلام عارف، ووجد عنده كل استعداد للتوسط لدى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر، بل إنه فكر في ذلك من نفسه

(١) مقدمة «صحيح مسلم» (١ / ٢٧)، و«الكامل في الضعفاء» (٤ / ١٤٥١)، و «المجروحين» لابن حبان (٢ / ٢٣).

(٢) هكذا وردت في النسخة، ولعلها «أخ» هكذا بدون ياء.

فقد كان كتابي «في ظلال القرآن» هو أنيسه في فترة اعتقاله».

وقال في (ص٧٧): «ومن نحو ستة أشهر وردت إلي رسالة مسجلة من دار الإذاعة السعودية مرفق بها تحويل بمبلغ (١٤٣ جنيهاً) على بنك بور سعيد، و ذكر في الرسالة أن هذا المبلغ هو قيمة ما أذاعته الإذاعة السعودية من أحاديث مقتبسة من كتابي «في ظلال القرآن» في شهري شعبان ورمضان ١٣٨٥هـ، وكنت قد علمت أن الإذاعة السعودية تذيع أحاديث مقتبسة من كتابي منذ سنوات، وأنها مستمرة في إذاعتها، فلما قررت هي مكافأة معينة عن فترة معينة، رأيت أن أطالبها بقيمة السابق واللاحق من الإذاعات، وهذا حقي طبيعي كمؤلف» أ.هـ

وفي (ص٨٠) تكلم عن الرسائل التي جاءته من الهند والباكستان، ومرسلها غلام أحمد والصديقي، ومما جاء في رسالة الصديقي: «بعد التهنئة أن كتابين من كتبي في طريقهما إلى المطبعة بعد مراجعة ترجمتهما إلى اللغة الأردية، وكان من قبل ترجم لي كتاب «العدالة في الإسلام» ونشره في باكستان، وإن هناك تفكيراً في ترجمة هذين الكتابين إلى اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها ويقرأ معظم المثقفين في باكستان والهند، ثم قال: إنه يأسف لأنه لم يرسل لي حتى الآن نصيب المؤلف من حصيلة كتاب «العدالة الاجتماعية» الذي نشر منذ سنوات» أ.هـ

وفي (ص٧٨): «وفي أثناء انعقاد مؤتمر المسلمين في القاهرة، في هذا العام زارني مندوب الجزائر في المؤتمر واسمه الشيخ -لم يذكر سيد اسمه، وفيه طالب مندوب الجزائر من سيد أن يكتب له كتاباً مختصراً لمواجهة النظام الشيوعي في الجزائر... فقلت له: إن لي ثلاثة كتب في هذا الموضوع، وهي: «العدالة الاجمتاعية في الإسلام» ،«السلام العالمي في الإسلام» و«معركة الإسلام والرأسمالية» وأن للأستاذ المودودي كذلك كتباً في الموضوع، ورسمتها له» أ.هـ

قلت: الحمد لله الذي لم يأخذ مندوب الجزائر هذه الكتب، لأنه رجع قبل أن يكتب له المذكرة ؛كما قال سيد، وعجيب أمر مندوب الجزائر[1] فر من المطر فجاء تحت الميزاب!!!

فأين ما عاد منه سيد وآد؟! وهو يفتخر أن كتابه «الظلال» المكظوظ بالعقائد الباطلة

(١) و لكن، قد وجد فكر سيد من ينشره على أيدي «الإخوان» بقيادة محفوظ نحناح الزعيم الروحي لهم، وهو مشهور باستهزائه بالسنة المطهرة، وسخريته من أهلها وأهل الحديث؛ فقد سللت الأحداث السياسية في الثمانينات ضغنه عن صدره وقلبه، وأخرجت أدعائه وحمصت حسيكته، فعادت خطبه النارية استهزاء من جلسة=

المخالفة لما كان عليه الصحابة؛ كما يجمجم به البعض دائماً كان أنيساً لعبد السلام عارف، وأنه يشتكي الإذاعة السعودية آنذاك؛ لأنها ما أعطته حقه كما يزعم.

وأين ما آض منه وهو يحيل مندوب الجزائر على كتابه «العدالة الاجتماعية» الذي ينضح طعنًا في الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ولم ينحصر الشر في الإحالة، بل إن هذا الكتاب ترجم إلى الأورديّة والإنجليزية؛ فازداد الشر فشواً، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

والآن أريد أن أكشف للقراء الكرام عن ماهية التربية والعقيدة التي دندن حولها سيد في العبارات السالفة، والتي جعلها البعض ممن يسوّغون نقولاتهم عن سيد مطلقاً.

قسّم (سيد) جماعة الإخوان إلى فرقتين:

أولاً: الجماعة التي تعلم وتدرس في المنازل لمسك المناصب بعد قيام الدولة الإسلامية التي يزعمونها، وهل تدري ما هي الدروس التي تقدم لهذه الجماعة؟ لا يذهب عقلك إلى «صحيح البخاري» أو «صحيح مسلم» أو «تفسير ابن كثير» أو كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وسائر كتب السلف، فإن هذه المراجع العتيقة لا قيمة لها عند الإخوان ومن نسج على منوالهم، بل يعدونها كتباً محنطة أكل الدهر عليها وشرب.

إذن؛ ما هي هذه العقيدة التي دعا إليها سيد في العبارات المجملة السالفة؟ قال سيد[1] في (ص٤٨-٤٩) بعد أن أُسند إليه مهمة قيادة المجموعة، وصار الرأس الذي يفكر لها: «... وقد بدأت أدرس معهم تاريخ الحركة الإسلامية، ثم مواقف المعسكرات الوثنية والملحدة و الصهيونية والصليبية، قديماً وحديثاً من الإسلام، مع إلمام خفيف بالأوضاع في المنطقة الإسلامية في التاريخ الحديث، منذ عهد الحملة الفرنسية، وأحياناً التعليق على الأحداث

= الاستراحة، ومن إطالة اللحية وصبغها، ومن تقصير الثياب إلى ما فوق الكعبين، حتى قال: لو كان محمد ﷺ معنا ما وسعه إلا أن يلبس البدلة، ومع هذا وغيره ما زال إلى الآن يهرف ويهزأ بما لا يعرف، ظاناً نفسه أنه يحسن صنعاً، فلاحول ولا قوة إلا بالله.

(١) هاهي العقيدة التي كان يقصدها في العبارات السابقة، فأبهمها ثم فصلها في هذه الكلمات، وهي تدور دائماً حول الحاكمية وفقه الواقع، ولم يأت في هذه الكلمات ولو إشارة لذكر معتقد السلف، فلست أدري من أين أخذ البعض رجوع سيد من هذا الجزء السياسي؟!

والأخبار والإذاعات، مع محاولة تدريبهم على تتبعها بأنفسهم... فقد كلفتهم أن يحصوا منهم أو من بعض من يختارونهم ممن وراءهم تتبع الصحف العالمية، والإذاعات، وإذا أمكن الكتب التي تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتهتم بالإسلام وبالمنطقة الإسلامية...»[1]

ثانياً: الجماعة التي تدرب لمواجهة النظام في الوقت المناسب.

قال سيد في (ص٥٠): «..فأما التدريب فقد عرفت أنه موجود فعلا من قبل أن يلتقوا بي، ولكن لم يكن ملحوظاً فيه أن لا يتدرب إلا الأخ الذي فهم عقيدته[2]، ونضج وعيه، فطلبت منهم مراعاة هذه القاعدة، وبهذه المناسبة سألتهم عن العدد الذي تتوافر فيه هذه الشروط عندهم، وبعد مراجعة بينهم ذكروا لي أنهم حوالي السبعين، وتقرر الإسراع في تدريبهم نظراً لما كانوا يرونه من أن الملل يتسرب إلى نفوس الشباب...».

دور هذه الكتيبة بعد تسليحها وتدريبها:

بعد ما تكلم سيد عن المال والسلاح، واحتمال وقوع ضربة لـ «الإخوان»، بين مهمة هذه الكتيبة فقال (ص٥٥): «...وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم، بإزالة رؤوس في مقدمتها: رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة، لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما يجيء...» وفي (ص٦) قال سيد: «فقررنا استبعادها -تدمير الكباري والقناطر- والاكتفاء بأقل قدر ممكن من تدمير بعض المنشآت في القاهرة، لشل حركة الأجهزة الحكومية عند المتابعة، إذ أن هذا وحده هو

(١) والعبارات أصبحت اليوم أصلاً معتمداً لدعاة فقه الواقع، ومنه يتبين ارتباطهم بالفكر القطبي.

(٢) التي شرحها سيد في «الظلال» و«العدالة الاجتماعية» و«كتب وشخصيات»؛ لأنه لما زاره مندوب الجزائر وسأله عن كتب يواجه بها الشيوعية -والشيوعية مسألة عقدية كما لا يخفى- أرشده إلى كتبه، وكتب المودودي، لا إلى كتب السلف؛ فتنبه ولا تكن من الغافلين.

الهدف من الخطة. . . »[1].

وفي الختام نقول:

هذا هو كتاب «لماذا أعدموني»، وهذه هي التربية والعقيدة التي أناب إليها سيد في آخر حياته، فهل بقي شك عند الأتباع أن هذا الجزء المشؤوم يمثل القانون الأساسي لأفراخ الخوارج العصريين، ولا أكون كاذباً لو قلت أن كل ما فيه من خطط للقيام على الحكومات، هو نفسه الذي يطبق في بعض البلاد الإسلامية.

لقد كان ينتابني تردد في نسج هذه الأسطر، وأقول في نفسي لعل البعض ذكر أقوال سيد ليفحم بها الأتباع -ولعلهم يرجعون- ولكن ما إن وقفت على هذه الحقائق، و أنه يتكبد العناء لجعل الشباب يقتنون كتب سيد وأخيه، ثم صنفها في رتبة المواد الأساسية التي يجب أن ينشأ عليها الشباب المسلم، تبددت تلك الشكوك وزالت، وتأكدت أن هؤلاء قد تشبعوا بأفكار سيد، وصاروا من المتعذر أن يتجردوا منها، إلا أن يشاء الله وهو على كل شيء قدير، فنسأل الله لنا ولهم الهداية والسداد.

ذم التنزي

• شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله

يقول شيخ الإسلام بان تيمية -رحمه الله-:

وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء؛ بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى؛ كما قال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾**، وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكز خان وأمثاله الذي يجعلون من وافقهم صديقاً والياً، ومن خالفهم عدواً باغياً، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله ورسوله؛ فإن كان أستاذ أحد مظلوماً نصره، وإن كان ظالماً لم يعاونه على الظلم؛ بل يمنعه منه، كما ثبت في الصحيح أنه قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يا رسول الله! أنصره مظلوماً؛ فكيف ظالماً!؟ قال: «تمنعه من الظلم؛ فذلك نصرك إياه».

«مجموع الفتاوى» (٢٨ / ١٥-١٦).

---

(١) هاهي التربية التي عناها سيد من الجملة السابقة.

فالله نسأل أن يبصر شبابنا بهذه الأخطار حتى يجتنبوها، فإنها والله مهلكات مذهبة لريح المسلمين وقوتهم، وأن يرزقنا الإخلاص ومتابعة الحق، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

الأرقام..!

● بقلم: أحمد إسماعيل السبع

هناك نظرية شاعت في البلاد والعباد، مفادها أن الأرقام العربية في رَسْمها الراهن (١ ، ٢ ، ٣ . . .إلخ) هي أرقام هندية، وأن الأرقام الأجنبية (1,2,3,....etc) هي الأرقام العربية الأصلية.

وهناك دعوة إلى اعتماد الأرقام في رسمها الأجنبي في بعض البلاد العربية.

ولقد بحث مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في دورته الحادية والعشرين المنعقدة في مدينة الرياض هذا الموضوع، واتخذ القرار الآتي:

«لا يجوز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي» للأسباب التالية:

أولاً: إنه لم يثبت ما ذكره دعاة التغيير من أن الأرقام المستعملة في الغرب هي الأرقام العربية، بل إن المعروف غير ذلك، والواقع يشهد له، كما أن مضي القرون الطويلة على استعمال الأرقام الحالية في مختلف الأحوال والمجالات يجعلها أرقاماً عربية.

ثانياً: إن الفكرة لها نتائج سيئة وآثار ضارة؛ فهي خطوة من خطوات التغريب للمجتمع الإسلامي تدريجياً، بدليل ما ورد في توصية وزراء الإعلام (في إحدى دول الخليج) بضرورة تعميم الأرقام المتسخدمة في أوروبة لأسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي.

ثالثاً: إن هذه الفكرة ستكون ممهدة لتغيير الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية بدل العربية ولو على المدى البعيد.

رابعاً: إن هذه الفكرة أيضاً مظهر من مظاهر التقليد للغرب واستحسان طرائقة.

خامساً: إن جميع المصاحف والتفاسير والمعاجم والكتب المؤلفة كلها تستعمل الأرقام الحالية في ترقيمها أو في الإشارة إلى المراجع، وهي ثروة عظيمة هائلة. وفي استعمال الأرقام الإفرنجية (عوضاً عنها) ما يجعل الأجيال القادمة لا تستفيد من ذلك التراث بسهولة ويسر.

سادساً: ليس من الضروري متابعة بعض البلاد العربية التي درجت على استعمال رسم الأرقام الأوروبي؛ فإن كثيراً من تلك البلاد قد عطّلت ما هو أعظم من هذا وأهم: وهو تحكيم شريعة الله كلها: مصدر العزة والسيادة والسعادة في الدنيا والآخرة فليس عملها حجة» أ.هـ

ولقد اطلع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السابعة المنعقدة بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة على قرار مجلس هيئة كبار العلماء والمتضمن أنه:

«لا يجوز تغيير الأرقام العربية المستعملة حالياً إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي»، وقرر ما يلي:

أولاً: التأكيد على مضمون القرار الصادر من مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، والمتضمن عدم جواز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً برسم الأرقام الأوروبية المستعملة في العالم الغربي للأسباب المبيّنة في القرار المذكور.

ثانياً: عدم جواز قبول الرأي القائل بتعميم رسم الأرقام المستخدمة في أوروبا بالحجة التي استند إليها من قال ذلك، وذلك أن الأمة لا ينبغي أن تدع ما اصطلحت عليه قروناً طويلة لمصلحة ظاهرة وتتخلى عنه تبعاً لغيرها.

ثالثاً: تنبيه ولاة الأمور في البلاد العربية إلى خطورة هذا الأمر، والحيلولة دون الوقوع في شرك هذه الفكرة الخطيرة العواقب على التراث العربي والإسلامي أ.هـ

ويُذكر أن محاولات قامت منذ نهاية القرن الماضي لفصل المسلمين عن اللغة العربية الفصيحة -لغة القرآن- باعتماد اللهجة العامية المحكية في كتاباتهم، وبكتابة كتب العلوم والآداب والفنون بالأحرف اللاتينية الأجنبية بدلاً من الأحرف العربية، وفشلت محاولاتهم بفضل الله.

ثم أشاعت بعض الفئات والهيئات أن الأرقام التي يستعملها المسلمون -والعرب منهم- هي هندية، بحجة أن الهنود يستعملونها، ودعوا إلى استعمال الأرقام الأجنبية.

وفي الواقع فإن الناس في الباكستان وفي الهند يستعملون الأرقام العربية مثلما يستعملون الأحرف العربية في لغتهم الأوردية.

وانتشرب الشائعة، وانخدع بعض المسلمين بالحجة المضلَّة المضلِّلة، فتركوا الأرقام العربية، واستعملوا أرقام العالم الغربي.

قال رسول الله ﷺ:

«لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ الذَّين مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبرْ وذراعاً بذراعٍ حتَّى لوْ دخلُوا حُجْر ضبٍّ لتَبِعتُمُوهُمْ» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن غيرهم؟». [رواه الشيخان].

إمامان عالمان... وكلمتان حكيمتان...

● بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي

قد تغيضُ الكلمات في الصدور، وتغيبُ الألفاظُ عن السُّطور، ولا يَدْري -جرّاءَ ذلك- صاحبُ الحقِّ ماذا يفعلُ أو يقول!

جاهلٌ يستعلي بسوءِ أدبهِ، وحاقدٌ يتطاولُ بظلام قلبه، وضالٌّ يستخفي بقبيح سَبِّه.

ولست تدري -في هذا الخِضَمِّ- من هو خَصْمُك، وماذا يريد منك -أو لك-!!

فإذاحاقَقْتَ واحداً (!) نفى، وتهرّب، وإذا صارحت آخرَ (!) هاج وماج! وإذا استعلمت وتثبَّتَ: أُنكر عليك فعلُك، وَرُدَّ عليك طلبُك.

فأنت -في هذا- داخلَ سوقِ ما هبَّ ودبَّ، كلٌّ يقولُ ما يُريد؛ بلا ضوابط، ومن غير روابط... الحقُّ -هنا- ما تهواه الأنفسُ، والهُدى -هنا- ما وافق المبتغى وفِعْلَ الرَّدى...

فلم أجِد -بعد ذا كُلِّه- سَلْوى حَقٍّ يَنْسَى بها أهلُ الحقِّ ظُلْم السَّيِّئين، أو سُوءَ الظالمين: إلاَّ كلماتٍ هاديةً لإمامَيْن جليليْن؛ تُغنيان عن كثيرٍ من المِراءِ، وتدفعان كثيراً من الهُراءِ:

● **أولاهما:**

كلمةُ الإمام أبي محمد ابن حزم -رحمه الله- تعالى-، قال:

«إن النائل مني لا يخلو من أحد وجهين، لا ثالث لهما:

-إمّا أن يكون كاذباً.

- وإمّا أن يكون صادقاً.

فإن كان كاذباً؛ فلقد عجّل الله لي الانتصار منه على لسان نفسه؛ بأنْ حصل في جملة أهل الكذب! وبأن نبَّه علي فضلي بأنْ نَسَبَ إليَّ ما أنا منه بريءُ العِرْض! وقد يعلم أكثر السامعين له كذبه؛

إما في وقته ذلك، وإما بعد بحثهم عما قال!!

وإنْ كان صادقاً؛ فإنّه لا يخلو من أحدٍ من ثلاثة أوجه:

- إمّا أن أكون شاركتُه في أمرٍ استرحتُ إليه استراحةَ المرءِ إلى من يُقدّر فيه ثقةً وأمانةً! فهذا أسوأ الناس حالةً، وكفى به سقوطاً وَضَعَةً.

- وإمّا أن يكون عابني بما يَظنُّ أنه عيب، وليس عيباً فقد كفاني جهله شأنه، وهو المعيب، لا من عاب.

- وإمّا أن يكون عابني بعيبٍ هو فيَّ على الحقيقة، وعلم مني نقصاً أطْلق به لسانه؛ فإن كان صادقاً، فنفسي أحقُّ بأن ألوم منه، وأنا حينئذٍ أجدر بالغضب على نفسي مني على من عابني بالحق».

● **أمّا الكلمةُ الثانية:**

فللإمام محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله -تعالى-، قال:

«وكنت أتصوّر في نفسي أن هؤلاء الذين يتعصّبون عليَّ، ويَشغلون أنفسهم بذكري والحطِّ عليّ -هم أحدُ رجلين:

- إمّا جاهلٌ لا يدري أنّه جاهل، ولا يهتدي بالهداية، ولا يعرف الصواب؛ فهذا لا يعبأ الله به.

- أو رجلٌ متميزٌ، له حظّ من علم، وحِصّةٌ من فهم؛ لكنه قد أعمى بصيرته الحسدُ وذهب بإنصافه حُبُّ الجاه؛ فهذا لا ينجع فيه الدواءُ ولا تنفع عنده المحاسنةُ ولا يُؤثّر فيه شيء.

فما زلتُ على ذلك، وأنا أجدُ المنفعة بما يصنعونه أكثرمن المضرَّة، والمصلحة العائدة على ما أنا فيه بما هم فيه أكثر من المفسدة».

هكذا تكونُ نظرةُ أهل الحقِّ، وهكذا يكون صنيعُهُم، وهكذا تكونُ سلامةُ قلوبهم، وهكذا يكون أُنْسُ نفوسِهم.

فاللهمَّ اجْعلْنا راضين بالحقِّ؛ ليكونَ قِبْلَتَنا وسبيلَنا، وادْفع عنا موانعه وطرائق ردِّه؛ لنكون -حقاً- من أهلهِ -بحقٍّ-، دون مَحْض الدعوى بغير حَقٍّ.

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحقِّ قل اللهُ يهدي للحقِّ أفَمَنْ يَهْدي إلى الحَقِّ أحقُّ أن يُتَّبعَ أمَّن لا يَهِدِّي إلاّ أن يُهْدَى فما لكم كيف تحكمون. وما يَتَّبعُ أكثرهم إلاّ ظنّاً إنَّ الظنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئاً إنَّ اللهَ عليمٌ بما يفعلون﴾.

وإنّا لله، وإنّا إليه راجعون.

حقيقة العلم الشرعي الضروري لبناء جيل مسلم

● بقلم: فضيلة الشيخ د. صالح بن غانم السدلان

إن فضيلة الشيء وشرفه تظهر تارة من عموم منفعته، وتارة من شدة الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه، وتارة من ظهور النقص والشر بفقده، وتارة من حصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده لكونه محبوباً ملائماً فإدراكه يعقب غاية اللذة، وتارة من كمال الثمرة المترتبة عليه، وشرف علته الغائية وإفضائه إلى أجل المطالب، وهذه الوجوه ونحوها تنشأ وتظهر من متعلقه؛ فإن كان في نفسه كمال وشرف بقطع النظر عن متعلقاته جمع جهات الشرف والفضل في نفسه ومتعلقاته. ومعلوم أن هذه الجهات بأسرها حاصلة للعلم؛ **فإنه أعم شيء نفعاً وأكثره وأدومه والحاجة إليه فوق الحاجة إلى الغذاء بل فوق الحاجة إلى التنفس**؛ إذا غاية ما يتصور من فقدهما فقد حياة الجسم. وأما فقد العلم ففيه فقد حياة القلب والروح فلا غنى للعبد عنه طرفة عين، ولهذا إذ فقد من الشخص كان شراً من الحمير، بل كان شراً من الدواب عند الله، ولا شيء أنقص منه حينئذ، وأما حصول اللذة والبهجة بوجوده فأنه كمال في نفسه وهو ملائم غاية الملائمة للنفوس؛ فإن الجهل مرض ونقص، وهو في غاية الإيذاء والإيلام للنفس ومن لم يشعر بهذه الملائمة والمنافرة فهو لفقد حسنه ونفسه[1].

والعلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها تحصيلاً وتعليماً

لا تخرج عن صنفين:

١- صنف يهتدي إليه الإنسان بفكره ويعمل فيه عقله.

٢- وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه.

والذي يعنينا إنما هو الصنف الثاني: وهو العلوم النقلية الوضعية التي تستند إلى الخبر

(١) انظر في هذا الموضوع: «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، لابن قيم الجوزية (١ / ١٠١-١٠٢، و١٠٦)، و«مقدمة ابن خلدون» (ص٥٥)، و«أثر العلم في تصحيح حياة الناس» للكاتب (ص: ١٤).

عن الوضع الشرعي ولا مجال للعقل فيها إلا في إلحاق الفروع في مسائلها بالأصول. **وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب و السنة.**

وحاجة العباد إلى هذه العلوم ضرورية فوق حاجة أجسامهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه الإنسان في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم الشرعي بعدد الأنفاس لأن في كل نفَس من أنفاسه هو محتاج فيه إلى أن يكون مصاحباً لإيمان أو حكمة، فإن فارقه الإيمان أو الحكمة لايرجى نجاته، وليس إلى حصول ذلك سبيل إلا بالعلم.

يقول **الإمام أحمد** -رضي الله عنه-: الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاجون إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليه كل وقت.

وقد انطلقت مسيرة التربية والتعليم في صدر الإسلام من تلك العلوم ووضعت المصنفات التي ترسم المناهج التعليمية وزخرت المكتبة الإسلامية بالمصنفات التي ترسم المناهج التعليمية، وذلك على ضوء كتاب الله -تعالى وسنة رسوله ﷺ وعلى هدي السلف الصالح من هذه الأمة، كما وضعت المصنفات في التربية والأدب والتواصل في قطاع أهل الفقه والحديث والعبادة، وقامت النهضة العلمية بقيام الإسلام وانتشرت في داره عن طريق دور العلم.

> **اندفع المسلمون الأوائل ليبنوا حضارة إسلامية رائعة بالعلم الذي رسخ على قواعد من الإيمان**

واندفع المسلمون الأوائل ليبنوا حضارة إسلامية رائعة بالعلم الذي رسخ على قواعد من الإيمان ثابتة لا تتزحزح في ظرف قرنين من الزمان هما طرفة عين في أعمار الأمم.

ومع انطلاق مسيرة التربية والتعليم في صدر الإسلام تفجر الينبوع الأول للحضارة والفكر في مجال العلوم الشرعية، وأضاء بنوره وقيمه وخلقه دياجير الجاهلية المظلمة وكانت معجزة الإسلام الخالدة إنما هو كتاب انطلقت منه الشرارة الأولى للعلم وكانت أول آية فيه ﴿اقرأ﴾، ثم توالت الآيات الكثيرة التي تحض على طلب العلم والمعرفة، والنظر في ملكوت السماوات والأرض.

ومن درس الأديان السابقة على الإسلام أو قرأ كتبها. ازداد إيماناً بعظمة الإسلام في هذا الجانب.

من قرأ الأسفار في العهد القديم أو الجديد -مثلاً- لا تكاد تقع عينه إلا في القليل النادر على هذه الكلمات: العقل، والفكر، والنظر، والبرهان، والعلم، أو ما اشتق منها أو تفرع عنها أو كان له قرابة بها؛ لكن إذا قرأ القرآن وجد فيه أن كلمة «علم» وردت منكرة ومعرفة

«٨٠» مرة، أما مشتقاتها عليم وعلاّم ويعلم وعلم... إلخ فقد ذكرت مئات المرات، ولا غرو، فالإسلام جاء منذ آياته الأولى يعلن بدء عصر العلم والإيمان ومولده، بدءً بقوله: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾**.

وحشد القرآن ما يقرب من خمسين آية في تحريك العقل البشري وانتشاله من وهدة التقليد والتبلد، كما حشد عشرات الآيات في إيقاظ الحواس من سمع وبصر ولمس، وعشرات أخرى في إيقاظ التفكير والتفقه فضلاً عن آيات طلب البرهان والحجة والجدال بالتي هي أحسن، بل إن القرآن أضاف حقيقة في غاية الأهمية وهي أنه أطلق كلمة العلم على (الدين) كأنما يمزج بينهما في مرحلة العصر القرآني مزجاً لا فكاك له، ومن ثم **يغدو العلم والدين سواء في لغة القرآن**.

يقول القرآن الكريم مخاطباً النبي ﷺ:

﴿... ولئن اتبعت أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين﴾؛ أي: الدين.

ويقول الله عن القرآن نفسه:

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة...﴾.

فالآيات كلها تفيد أن ما أنزل الله على محمد ﷺ من دين إنما هو (العلم)، وأن القرآن مفصل على علم؛ كما تبين آية أُخرى هي قوله -تعالى-: **﴿وقال الذين أُوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله....الآية﴾**.

وهذا المزج يتجلى في أوضح صورة في التاريخ الإنساني بين العلم والإيمان.

وحسبنا أن نشير إلى أن كلمة علم بتصريفاتها المختلفة قد وردت في القرآن الكريم في أكثر من سبعمائة وخمسين آية بل قد ذكرت أكثر من ثمانمائة وأربعين موضعاً.

فإذا كان العلم هو الأساس والمنهج الذي حفظ به الإنسان رسالات السماء واختزن فيه خبرات البشر التي تساعده إن أراد النمو والارتقاء؛ فإن حضارة الإسلام كانت جديرة بالاهتمام بالعلم وتشير الآيات القرآنية بوضوح إلى أهمية العلم ومكانة العلماء.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن خير العلوم هو الذي يدلك على معرفة الله وخشيته وتقواه والإنابة إليه: **﴿ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾** [سبأ: ٦].

> **الفقه في الدين يشمل: الفقه في أصول الإيمان، وشرائع التفقه في العقائد، ومعرفة مذاهب السلف فيها، والتحقق به ظاهراً وباطناً، ومعرفة مذاهب المخالفين وبيان مخالفتها للكتاب والسنة**

وقال -تعالى-: **﴿إنما يخشى الله من**

عباده العلماء﴾[فاطر:٢٨]، أي: العالمين بالله -عز وجل- الذين قدروا الله حق قدره، فمن يتعلم ويعلم العلم الذي يقرب من الله والدار الآخرة؛ فقد أراد الله به خيراً يقول ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يفقه في الدين»**.

فهذا الحديث تضمن فضائل العلم؛ فالعلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيراً والفقه في الدين يشمل: الفقه في أصول الإيمان، وشرائع التفقه في العقائد، ومعرفة مذاهب السلف فيها، والتحقق به ظاهراً وباطناً، ومعرفة مذاهب المخالفين وبيان مخالفتها للكتاب والسنة، ويدخل فيه علم الفقه، أصوله وفروعه، وأحكام العبادات والمعاملات والجنايات وغيرها، ويدخل في ذلك أيضاً التفقه بحقائق ومعرفة السير والسلوك إلى الله الموافقه لما دل عليه الكتاب والسنة، وكذلك يدخل في هذا: تعلم جميع الوسائل المعينة على الفقه في الدين كعلوم العربية بأنواعها.

فمن أراد الله به خيراً فقهه في هذه الأمور ووفقه لها ودل **مفهوم الحديث على أن من أعرض عن هذه العلوم بالكلية؛ فإن الله لم يرد به خيراً؛ لحرمانه الأسباب التي تنال بها الخيرات، وتكتسب بها السعادة في الحياة وفي الممات؛ فالعلم هو طريق الإيمان بالله، ويمكن القطع بأن البشر يجمعون على ذلك منذ كانوا على الأرض لا يشذ منهم إلا القليل النادر، وهذا هو العلم الواجب على المسلم أن يقبل عليه ويستفتح أبوابه ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ويتطلع له ويتضلع فيه ويأخذ منه بسهم وافر.**

وحسبنا أن القرآن الكريم عندما نوه بفضل العلم وجلال العلماء إنما عنى العلماء الذين يعرفون عظمة الخالق ويقدرونه حق قدره وينظرون في ملكوته قال -تعالى-: ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾ [الروم:٢٢]؛ فكل ما يوثق صلة الإنسان بربه ويفتح له آمالاً أكثر وأكثر من الكشف والإدراك ويتيح له الإفادة من ذخائر الكون الخفية هو أشرف العلوم على الإطلاق، وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته.

وقد أرسى في تربية المسلم منهج العلم داعياً إلى اليقين دون الظن ﴿**إن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾[النجم:٢٨].

والسعي وراء البرهان والدليل: ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾، وحذر من الابتعاد عن الموضوعية والحيدة واتباع هوى

النفس ﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ [الأنعام: ١١٩].

ولم يقبل ما نقبله في تعليمنا اليوم من التلقين والترديد والاكتفاء بأدنى مستويات المعرفة؛ فهو يربي المسلم على الرؤية العلمية، والنظرة الثاقبة، والربط والتوظيف للمعرفة، والتأكيد على أن الإنسان محور الكون؛ كل علم؛ يرتبط بسعادته وارتقائه لا بتدميره وهلاكه، وتلك هي الإنسانية العلمية في التربية الإسلامية التي تنادي بها التربية اليوم في مواجهة تحديات الاستخدام المخيف للعلم والتكنولوجيا.

وانطلاقاً من ذلك نجد أن تحصيل العلم في الإسلام للحقيقة والنفع للنفس والناس لا للمباهاة التي قد تدفع إلى الزيف أو المغنم، الذي **يمثل مظهر الانحراف عن القصد**، وقد احتضنت الحضارة الإسلامية كل نافع من حضارات الأمم السابقة إلى جانب ما جاءت به هذه الشريعة من الكمال والتمام في هذا الجانب، وقامت بتعليمه في مساجدها ومدارسها وترجمتها وأضافت إليها وطورتها.

والله -تعالى- وحده الهادي إلى سبيل العلم.

صلاح الأمة

* الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-

يقول سماحة الإمام القدوة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-:

لن يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال أهل العلم والإيمان، ومن جملتهم الإمام المشهور مالك بن أنس إمام دار الهجرة في زمانه، والفقيه المعروف، أحد الأئمة الأربعة، قال هذه المقالة، وتلقاها أهل العلم في زمانه وبعده، ووافقوه عليها جميعاً.

والمعنى: أن الذي صلح به أولها وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ، هو الذي يصلح به آخرها إلى يوم القيامة.

ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي، أو صلاح المجتمعات الأخرى في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط، وقال غير الحق، فليس إلى غير هذا من سبيل، وإنما السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوي، هو السبيل الذي درج عليه نبينا عليه الصلاة والسلام ودرج عليه صحابته الكرام، ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن العظيم، والعناية بسنة رسول الله ﷺ، ودعوة لناس إليهما والتفقه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام في العقيدة الأساسية الصحيحة.

الحلقة الثانية

رفع الحجاب

عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل البدع والأحزاب

● بقلم: الشيخ أبي الحسن المأربي

● أهل السنة ينطلقون من القواعد الشرعية، ولا يطلقون لأنفسهم العِنان في التدخل في ضمائر الخلق، إنما يتعاملون مع الناس حسب الظاهر -مع الحذر إن احتاجوا لذلك- ويكلون السرائر إلى الله -عز وجل- وأما غيرهم فينطلق من العواطف الحماسية، ويتدخل في ضمائر الخلق، ويحمل الكلام الغير ما لا يحتمل.

● أهل السنة يقبلون النصح بدليله -ولو من المخالف- وغيرهم يعد النصح سباً لأهل العلم، وربما عده تشهيراً وتشنيعاً، وأحسن أحواله أن يرده بدعوى أنه نقد ليس ببنّاء -كما يقولون- والحق ضالة المؤمن، حيثما وجدها أخذها.

● أهل السنة -وإن اختلفوا في الفهم- لم يتنافروا فيما بينهم، وغيرهم يتنافرون تنافر الغربان، وربما حقد بعضهم على بعض بل ربما لعن خلفهم سلفهم.

● السرية عند أهل السنة في حدود ما جاء في الشرع، وأما غيرهم فيكتمون حقيقة دعوتهم، حتى على العلماء خشية أن يحذروا منهم، لو أفصحوا لهم بحقيقة ما يدعون إليه فينطبق عليهم حديث: «**الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**» رواه مسلم.

● أهل السنة لا يكفّرون فاعل المعصية -ما لم تكن كفراً أكبر- ولا يكفّرون مخالفهم في التأويل، ويعرفون آداب الخلاف، ويفرقون في ذلك بين نوع المسائل، وأحوال المخالفين، مع النظر في المصالح والمفاسد.

● أهل السنة يحبون أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً وينزلون كل واحد منهم منزلته،

بدون إفراط أو تفريط، ويكفون عما شجر بينهم، ويترضَّون عنهم جميعاً، وغيرهم من أهل البدع، يكفر الصحابة أو يفسقهم، أو ينتقصهم، وينشر الكذب في مثالبهم، ويوغر الصدور على أكثر الصحابة، ومنهم من بُشر بالجنة، فالله المستعان.

● أهل السنة يحبون أولياء الله الصالحين، ويؤمنون بكراماتهم، لكن لا يدعونهم من دون الله، ولا يفزعون إليهم في الشدائد، ولا يتوسلون بجاههم ولا ذواتهم، إنما يتوسلون إلى الله بالعمل الصالح أو بدعوة الصالح من الأحياء، وغيرهم من أهل البدع والخرافات يتخبط في هذا بما لا نهاية له.

● أهل السنة لا يفتحون الباب للاستحسان بدون ضوابط شرعية لعلمهم أن هذا الباب قد زلت فيه أقدام، ولأنهم يسعون لسد ذرائع الشر، وأما غيرهم فَحَدِّث ولا حرج.

● أهل السنة يصلون وراء كل بر وفاجر من المسلمين، ويلقون السلام على من عرفوا ومن لم يعرفوا، وأهل الأهواء لا يصلون إلا وراء من كان على شاكلتهم، ولا يسلمون إلا على من وافق أهواءهم، وإن سلموا على أهل السنة لوّوا ألسنتهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه.

● أهل السنة لا يتسرعون في رمي المخالف لهم بالضلال نحوه، ويعلمون أن الحكم على الناس عبادة، لا بد فيها من الاخلاص والمتابعة، ولا يعاملون مجازفة غيرهم بمثلها، فإنهم يعلمون أن أعراض الناس حفرة من حفر النار، **ولا يجعلون لازم قول مخالفهم قولاً له، إلا إذا التزمه ورضي به، ولا ينزلون نصوص الوعيد على المعيّن إلا بشروط معروفة عند العلماء**، وأما غيرهم فالحكم على مخالِفِه بالتشهي وبما يخدم حزبه ودعوته فبحرٌ لا ساحل له، وفي سبيل ذلك فإن الدماء والأموال والأعراض حلال -عند بعضهم أو جلّهم-، والله المستعان.

● أهل السنة يزِنُونَ الرجال بمقدار تمسكهم بالحق ونصرتهم للسنة ويقولون: الحق لا يُعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف الرجال، وغيرهم ربما رفع الرجل لأنه خطيب مفوه، أو ناقد لاذع، أو أنه يشهّر بالولاة، بدعوى أنه جريء في الصدع بالحق!! دون النظر إلى صحة معتقده، أو سلامة نهجه، أو المفاسد التي تترتب من وراء ذلك.

● أهل السنة لا ينكرون تأثير السحر

والسحرة، لكنهم يعتقدون أنهم لا يضرون أحداً إلا بإذن الله -عز وجل-، ويرون علاج ذلك بالرقية الشرعيّة، لا بالطلاسم البدعية الشركية.

● طلبة العلم من أهل السنة لا يردون إجماع العلماء -إذا ثبت-، وينبغي معرفة أن هناك من يتساهل في دعوى الإجماع، فيدعيها في موضع اشتهر فيه النزاع، أو يهمل قول المخالف، ويرى خلافه ليس خلافاً.

● أهل السنة يبتعدون عن التشبه بالمشركين في كل شيء -مما هو من خصائصهم-، وغيرهم ربما عدَّ ذلك تشدداً أو اشتغالاً بالقشور، فإلى الله المشتكى.

● أهل السنة يرون جواز الجرح والتعديل في كل زمان، إذا قام به من تأهل لذلك، وكان من أهل العلم والحلم وقصد بذلك الذب عن السنة ،وغيرهم يقول بسد هذا الباب، مع أنه قد فتحه لنفسه وأتباعه على مصراعيه.

● أهل السنة لا يستوحشون من قلة السالكين، ولا يغترون بكثرة الزائغين، وغيرهم يخدع بالكثرة، فيرى أن الحق مع الكثرة، ويستبعد أن يكون العدد القليل مصيباً، مع أن الله -عز وجل- قد حذّر من الاغترار بالكثرة.

● أهل السنة دعوتهم قائمة على العلم والأصالة، وغيرهم أقام دعوته على جهل وضلالة -وهم في هذا بين مقلٍّ ومستكثر-.

● أهل السنة يأخذون بالدين كله -حسب الاستطاعة الشرعية-، ولا يتركون سُنّة من أجل واجب، فضلا عن تركهم واجباً لواجب -ما أمكن الأخذ بالجميع- لأن الكل من عند الله، وبلغه رسول الله ﷺ، وتناقلته الأمة جيلاً بعد جيل، أما غيرهم فيقسم الدين إلى قشور ولُباب، ويواليه أحسن هذا التقسيم، فيكون البلاء أخف؛ فلربما جعل الدعوة للتوحيد، والتحذير من الشرك والبدع من القشور التي لا حاجة لها، أو أنها تفرق الأمة، ولو سلمنا لهذا التقسيم، فمتى يسلم اللُّب إذا كان بدون قشر؟!

● أهل السنة يقابلون حجة الخصم بالحجة الشرعية، لأنهم واثقون من صحة دعوتهم، قال تعالى: ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾ وإن كان الحق مع خصمهم رجعوا إليه، وأخذوا به، لأن الحق ضالتهم، أما غيرهم فإن عجز عن الدليل فزع إلى التهديد والتهويل.

● أهل السنة إذا دعوا الناس إلى الاجتماع والتعاون؛ فيعنون بذلك الاعتصام بالكتاب والسنة، والتعاون على البر والتقوى، وغيرهم إذا دعا للاجتماع فيعني بذلك التكتُّل على قواعد حزبه، والبيعة لأميره، والدعوة لنهجه، سواء وافق منهج السلف أم لا.

● أهل السنة يرون أن تفرق المسلمين إلى جماعات متناحرة متنافرة، مرض من الأمراض الخطيرة على الدعوة إلى الله ومستقبلها، فيجب علاجه أو إزالته، لأن الله عز وجل نهى عن التفرق، وأمر بالاعتصام بحبله، وغيرهم يرون أن هذه التكتلات ظاهرة صحية، فإلى الله المشتكى؛ متى كان التفرق سبيلاً للاجتماع؟!

● أهل السنة يحتكمون للدليل -بعد التأكد من سلامته-، ويحاولون إصلاح الواقع -بالحسنى- ليتفق مع الدليل، وغيرهم إذا طُلب منه الدليل على قوله أو فعله، قال: أين البديل؟! وكأنه قد جعل الواقع أصلاً، وإذا خالفه الدليل قدم الواقع، بل ربما دافع عن الواقع المخالف، فأصبح داعياً للتسويغ لا للتغيير.

● أهل السنة لا يستبطئون ثمرة جهودهم الموافقة للكتاب والسنة؛ لأنهم يعلمون أن الله -عز وجل- أمرهم بالعمل، أما النصر والثمرة فقد تكفل الله -عز وجل- بذلك، أما غيرهم، فيقول: لنا سنوات نعمل ولم نحْصل على شيء، فيقع في اليأس، فيقفز إلى مناهج منحرفة، فيزيد الطين بلَّةً، وهذا كله لأنه لا يرى نشر السنن وإماتة البدع نصراً، إنما النصر عنده -فقط- الوصول إلى سُدَّة الحكم.

● أهل السنة يرون الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال، وأنه ليس مقتصراً على القتال بالسلاح، فالدعوة إلى الله -عز وجل- أعظم وانفع صورة للجهاد في هذا الوقت، ويرون أن الجهاد بالسلاح له شروط وضوابط يُرجع فيها لأحكام الشرع وبفتوى علماء الأمة، وأما غيرهم ربما قتل بعض المسلمين، أو فجّر مؤسسة أو مبنى أو نحو ذلك، وعد ذلك جهاداً، وعلماء السنة يرون ذلك فتنة، وينكرون إثارة الفتن بين المسلمين، وفي ديار الإسلام، بل ويرون أن قتال الكفار لابد من توفر شروطه، وانتفاء موانعه.

● أهل السنة يرون وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن، وينظرون مع ذلك في عواقب الأمور، فإن أدى ذلك إلى منكر أكبر صبروا، أما غيرهم فربما دعا لأمر وإن هدم به أموراً أقرب منه إلى الله

-عز وجل-.

● أهل السنة ينكرون المنكر بجميع صوره، ويعطون لكل منكر قدره في الإنكار -حسب الاستطاعة الشرعية -ولا يتركون النصيحة لمن يناصرهم في إزالة منكر -إذا وجدوا المجال لذلك مناسباً -، وأما غيرهم فلربما والى باطلاً ضد باطل آخر، أو أعطى أهله فوق قدرهم، مما يؤدي إلى قوة شوكة أهل الباطل، **وفرق بين الاستفادة من فاجر في نصرة الدين، وبين الترقيق من بدعته وفجوره، أو تلميع شأنه، مما يؤدي إلى تمكنه وظهوره.**

● أهل السنة لا يفرحون بعثرة المخالف وزلته، بل يدعون الله -عز وجل- له بالهداية والسداد، ولهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، الذي كان يحب هداية المشركين -فما ظنك بالمسلمين؟- وكان يدعوا لهم فيقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، وأما غيرهم فيحب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وربما استعمل سبق الكذب والبهتان في التشنيع، وربما حملته جاهليته على تعيير المخالف له بأبيه وأمه!!

● أهل السنة لا يعتقدون صحة أي نظام أو قانون يخالف كتاب ربهم وسنة نبيّهم ﷺ -فيما خالف فيه- **لكنهم يرون تغيير ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ويراعون في ذلك المصالح والمفاسد، وأما غيرهم فمواقفهم متضاربة، وفتاواهم متعارضة، والله المستعان.**

● إلا أنه لا يفوتني أن أنبه على أن هذه المسائل التي ذكرتها لا يلزم منها أن من خالفنا في أي مسألة منها كان خارجاً عن أهل السنة والجماعة، أو كان من الفرق الهالكة، نعم فيها بعض المسائل من هذا الصنف، وبعضها لا تنهض لإخراج المخالف من أهل السنة والجماعة، وإنما يكون بها مخالفاً لأهل السنة -وإن كان منهم في الجملة- أقول هذا درءاً للإفراط والتفريط معاً.

● **وأيضاً لا يفوتني أن أقول: هذه المسائل قد يخالف فيها من هو منتسب لدعوتنا من طلبة العلم، فلا نجامله ولا نحابيه لأنه قريب منا!! فإن الحق أحب إلينا من كل أحد، فالمخالف لما هو حق من هذه المسائل مخالف -وإن كان منا- لأننا لا نكيل بمكيالين، مع أن من اشتهر بالدفاع عن السنة أعلى وأجل في قلوبنا -وإن خالف- إلا أن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم.**

والحمد لله أولا وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الربا... فقهه وأنواعه وأحكامه

● بقلم: أبي صهيب محمد المنشاوي

لغة: هو النمو والزيادة والعلو والارتفاع.

يُقالَ: رَبا الشيءُ رَبْواً إذا زاد ونما وعَلا.

وأربيته: نميّته، ومنه قوله -تعالى-: ﴿**ويُربي الصدقات**﴾[البقرة:٢٧٦]، وقوله تعالى: ﴿**اهتزّت وربَتْ**﴾[الحج:٥]؛ قيل: معناه: عَظُمتْ وانتفخت، والربوة والرابية: ما ارتفع من الأرض، ومنه قوله -تعالى-: ﴿**وآويناهُمَا إلى رَبْوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعين**﴾[المؤمنون: ٥٠]، والرابية بمعنى زائدة، كما في قوله: ﴿**فأخذهم أخذة رابية**﴾[الحاقة:١٠]، وأربى الرجل: دخل في الربا[١].

اصطلاحاً:

هو زيادة مال متعارف عليها، تؤخذ ربحاً على أصل المال بلا مقابل عند مبادلة مال ربوي بجنسه، ويطلق الربا على كل بيع محرم، وعلى كل عمل محرم.

والربا الذي عليه عرف الشرع شيئان: تحريم النَّساء، والتفاضل في العقود والمطعومات على ما نبيّنه، وغالبه ما كانت العرب تفعله، من قولها للغريم: أتَقْضي أم تَرْبي؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه. وهذا كله محرّم باتفاق الأمة»[٢].

وعقد الرّبا: «عقد فيه فضل، القبض فيه مفيد للمالك الفاسد».

وفي تعريف آخر: «فضلٌ غير شرعي، خال عن عِوَض، شُرِطَ لأحد المتعاقدين في عقد المعاوضة»[٣].

حقيقة ربا الجاهلية، وصفة تعاملهم به:

١- أخذ الربا على الدَّين:

قال مجاهد -في الربا الذي نهى الله عنه-: «كانوا في الجاهلية يكون للرجل على

(١) انظر «لسان العرب» (١٤-٣٠٤)

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٣ / ٣٤٨)

(٣) «المعجم الاقتصادي الإسلامي للشرباصي» (١٩١).

الرجل الدَّين؛ فيقول: لك كذا أو كذا وتؤخّر عني؛ فَيؤخر عنه».

وقال قتادة: «إن ربا أهل الجاهلية: يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمّى، فإذا حلّ الأجلُ ولم يكن عند صاحبه قضاء، زاده وأخر عنه»(١).

وقال عطاء: «كانت ثقيف تُداين في بني المغيرة في الجاهلية فإذا حلَّ الأجل قالوا: نزيدكم وتؤخرون» فَنَزَلت: ﴿**لا تأكلوا الربًا اضعَافاً مُضَاعفة**﴾ (٢).

يعني: أن الزيادة تكون على الثمن المؤجّل إذا لم يقض الثمن عند حلول الأجل.

٢- أخذ الربا على القرض دفعةً واحدة حين انتهاء المدة.

قال عماد الدين الطبري -المعروف بالكيا الهراسي-: «والله -تعالى- حرم الربا فمن الربا ما كانوا يعتادونه في الجاهلية من إقراض الدنانير والدراهم بزيادة» (٣).

وقال أبو بكر الجصّاص:

«إنه معلوم أن ربا الجاهلية كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة فكانت الزيادة بدلاً من الأجل فأبطله الله -تعالى-»(٤).

٣- قرض بفائدة بتقسيط شهري، فإذا لم يؤدّ المدين الدين في الميعاد زادوا في مقدار مبلغ التقسيط، وأخّروا مدة الأداء.

قال ابن حجر الهيثمي -رحمه الله-:

«وربا النسيئة هو الذي كان مشهوراً في الجاهلية؛ لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره؛ أي: إلى أجل على أن يأخذ منه كل شهر قدراً معيناً ورأس المال باقٍ بحاله، فإذا حلّ طالبه برأس ماله فإن تعذر عليه الأداء زاده في الحق والأجل، وتسمية هذا نسيئة مع أنه يصدق عليه ربا الفضل أيضاً؛ لأن النسيئة هي المقصودة فيه بالذات، وهذا النوع مشهور الآن بين الناس وواقع كثيراً»(٥).

وممن اشتهر بالتعامل بالربا بالجاهلية:

العباس بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ، وقد شارك خالد بن الوليد، كانت تجارتهما تقوم على التعامل الربوي، فكانا يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير من ثقيف، فجاء الإسلام، ولهما أموال عظيمة في الربا فأمرهم أن يأخذوا رؤوس أموالهم دون الزيادة، وقال النبي ﷺ في حجة الوداع في خُطبة يوم عرفة: «ألا كُلّ شيء من أمر الجاهلية تحت

(١) «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير (٦ / ٨).
(٢) المرجع السابق (٧ / ٢٠٤).
(٣) «أحكام القرآن» للكيا الهراسي (١ / ٢٥٤).
(٤) «أحكام القرآن» للجصاص: (٢ / ١٨٤).
(٥) «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: (٢ / ٢٢٢).

قدميّ موضوع...، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبدالمطلب؛ فإنه موضوع كلّه...»[1][2].

وإتماماً للمقصود نتكلم على أحد نوعي الربا وهو:

١- ربا الفضل:

تعريف ربا الفضل: اختلف الأئمة في تعريف ربا الفضل؛ لاختلافهم في علّته؛ لذا فإني أختار تعريفاً شاملاً مانعاً يتمشّى مع الدليل والبرهان.

فالقول: هو بيع الشيء من الذهب والفضة، وما يلحق بهما من أوراق ومَسْكوكات نقدية، أو بيع كل مكيل كالبُر أو الشعير أو الذرة وما يلحق بهذه الأصناف بعلة الطُّعم بنظيره مع تفضيل -زيادة- أحد المبيعين على الآخر، أو كون أحدهما مقبوضاً في الحال والآخر مؤجلاً.

٢- بعض النصوص التي وردت بشأن ربا الفضل:

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

«الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبرُّ بالبرِّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مِثلاً بمثل، يداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء»[3].

وفي حديث عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ:

«فإذا اختلفت هذه الأصناف؛ فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»[4].

وعن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه بصاع قمح فقال: بعهُ ثم اشتر به شعيراً، فذهب الغلام فأخذ صاعاً وزيادة بعض صاع فلما جاء معمراً أخبره بذلك.

فقال له معمر: لم فعلت ذلك؟ ا نطلق فرُدَّه ولاتأخذن إلا مثلاً بمثل؛ فإني كنت أسمع رسول الله ﷺ، يقول: **«الطعام بالطعام مثلاً بمثل»**.

قال: وكان طعامنا يؤمئذ الشعير، قيل له: فإنه ليس بمثله قال: إني أخاف أن يُضارع»[5].

واحتج الإمام **مالك** -رحمه الله- بهذا الحديث على أن البُرَّ والشعير صنفٌ واحد لا يجوز بيع أحدهما بالآخر متفاضلاً.

والحق الذي لا مرية فيه أن البر والشعير

(١) رواه الإمام مسلم (١٢١٨) وأبو داود «صحيح أبي داود» (٣٣٣٤) وغيرهما.
(٢) انظر «الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية» د.عمر المترك (ص ١٩-٢٥).
(٣) أخرجه البخاري: (٢١٧٦) بنحوه، ومسلم (١٥٨٤) واللفظ له وغيرهما.
(٤) أخرجه مسلم (١٥٨٧)، وأبو داود «صحيح أبي داود» (٣٣٥٠) بنحوه وغيرهما.
(٥) أخرجه الإمام مسلم برقم (١٥٩٢)، والإمام أحمد (٦ / ٤٠٠) وغيرهما.

صنفان يجوز التفاضل بينهما ودليله قوله، ﷺ: «**فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد**».

وقوله ﷺ في حديث عبادة بن الصامت: «**لا بأس ببيع البر بالشعير والشعير بالبر أكثرهما يداً بيد، وأما نسيئة فلا**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال:

جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمر برني، فقال له النبي ﷺ «من أين هذا؟» قال بلال: كان عندي تمر رديء، فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبي ﷺ، فقال النبي عند ذلك: «**أوه أوه، عين الربا، لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به**»(٢).

علة الربا:

اختلف العلماء في علة الربا على ضربين:

الأول: علة الربا في الذهب والفضة.

الثاني: علة الربا في الأصناف الأربعة.

قال **الإمام البغوي** في «شرح السنة»:

«واتفق العلماء على أن الربا يجري في هذه الأشياء الستة التي نصّ الحديث عليها، وذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا غير مقصور عليها بأعيانها، وإنما ثبت لأوصاف فيها، ويتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف، وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر. واختلفوا في ذلك الوصف، فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية، وبه قال مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلة الوزن، وهو قول أصحاب الرأي، حتى قالوا: يثبت الربا في جميع ما يباع وزناً في العادة مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها...»(٣).

وقال النووي -رحمه الله-:

«فقال أهل الظاهر: لا ربا في غير هذه الستة؛ بناء على أصلهم في نفي القياس، قال جميع العلماء -سواهم- لا يختص بالستة بل يتعدى إلى ما في معناها وهو ما يشاركها في العلة، واختلفوا في العلة التي هي سبب تحريم الربا في الستة فقال الإمام الشافعي:

«العلة في الذهب والفضة كونهما جنس الأثمان، فلا يتعدى الربا منهما إلى غيرهما

(١) أخرجه أبو داود «صحيح أبي داود» (٣٣٤٩) والنسائي «صحيح النسائي» (٤٢٥٤) وابن ماجه «صحيح ابن ماجه» (٢٢٥٤) وغيرهم وذكره شيخنا الألباني في «إرواء الغليل» (٥ / ١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣١٢) واللفظ له والإمام مسلم (١٥٩٤) بنحوه وغيرهما.

(٣) «شرح السنة» للإمام البغوي -كتاب البيوع- باب بيان مال الربا وحكمه (٥ / ٤٣).

من الموزونات وغيرها لعدم المشاركة.

قال: والعلة في الأربعة الباقية كونها مطعومةً فيتعدى الربا منها إلى كل مطعوم.

وأما مالك فقال في الذهب والفضة كقول الشافعي -رضي الله عنه- وقال في الأربعة: العلة فيها كونها تدخر للقوت وتصلح له فعداه إلى الزبيب لأنه كالتمر، وإلى القطنية لأنها في معنى البر والشعير.

وأما **أبو حنيفة** فقال:

«العلة في الذهب والفضة الوزن، وفي الأربعة الكيل، فيتعدى إلى كل موزون من نحاس وحديد وغيرهما، وإلى كل مكيل كالجصّ والأشْنان وغيرهما. وقال سعيد بن المسيب وأحمد والشافعي في القديم: العلة في الأربعة كونها مطعومةً موزونةً أو مكيلةً بشرط الأمرين، فعلى هذا لا ربا في البطيخ والسفرجل ونحوه مما لا يُكال ولا يوزن»[1].

والراجح عندي أن الربا في الذهب والفضة يتناول الذهب والفضة وما يقوم مقامهما من الأوراق النقدية والمسكوكات وجميع المصوغات منها حلياً أو آنية أو غيرهما ويخرج ما يوزن من غيرهما كالحديد والرصاص، والنحاس وغيرها وبرهانه.

ما رواه الإمام مسلم (١٥٩٣) وغيره أن رسول الله ﷺ، بعث أخا بني عدي الأنصاري فاستعمله على خيبر، فقدم بتمر جنيب فقال له رسول الله ﷺ: «أكلُّ تمر خيبر هكذا؟» قال: لا، والله! يا رسول الله! إنا لنشتري الصاع بالصاعين من الجميع. فقال ﷺ: «لا تفعلوا، ولكن مثلاً بمثل، أو بيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا، وكذلك الميزان».

ومحلُّ الاستدلال بهذا الحديث هوقوله ﷺ: «وكذلك الميزان»

وهذا اللفظ عام، أي في كل موزون من الذهب والفضة والنحاس وغيره ويقيده الأدلة الأُخرى كحديث عبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري:

«لا يحلُّ الذهب بالذهب والفضة بالفضة إلا وزناً بوزن»، فيكون المقصود هو أن يتساوى النقدان في الوزن لحل مبادلتهما مع اتحاد الجنس. فالميزان نفسه لا ربا فيه، فلابد إذن من حمل كلمة الميزان على ضوء الأحاديث الأُخرى، وتخصيصها بكل ما يوزن من الذهب والفضة كالآنية وغيرها.

قال الإمام **ابن تيمية** -رحمه الله-: «والمقصود هنا: الكلام في علة تحريم الربا في الدنانير والدراهم، والأظهر أن العلة في ذلك هو الثمنية؛ لا الوزن، كما قال جمهور العلماء ولا يحرم التفاضل في سائر الموزونات كالرصاص والحديد والحرير والقطن

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» -ط دار الفكر (١١ / ٨و٩).

والكتان..»[1]. وهذا ما ذهب إليه الإمام أحمد والإمام الشافعي في المشهور عنهما، والإمام أحمد في إحدى الروايات عنه؛ إلى أن العلة فيهما غلبة الثمنية أو جوهر الثمنية غالباً... وقال: يشمل التبرُ المضروب والحلي، والأواني منهما، وفي تعدي الحكم إلى الفلوس إذا راجت...»[2].

قال **ابن القيم** -رحمه الله-:

«وأما الدراهم والدنانير... وطائفة قالت: العلة فيهما الثمنية، وهذا قول الشافعي، ومالك وأحمد في الرواية الآخرى، وهذا هو الصحيح بل الصواب.

فإنهم أجمعوا على جواز إسلامهما في الموزونات من النحاس والحديد وغيرهما، فلو كان النحاس والحديد ربويين لم يجز بيعهما إلى أجل بدراهم نقداً، فإنّ ما يجري فيه الربا إذا اختلف جنسه جاز التفاضلُ فيه دون النساء[3].

قال **ابن حزم** -رحمه الله-:

«وكل ذي عقل يعرف: أن حكم المبيعات يختلف في البلاد أشد اختلاف، فما يوزن في بلدة يكال في أخرى: كالعسل والزيت، والدقيق، والسمن، يباع الزبت والعسل ببغداد، والكوفة وزناً، ولا يباع شيء منها بالأندلس إلا كيلاً، ويباع السمن والدقيق في بعض البلاد كيلاً، ولا يباعان عندنا إلا وزناً، والتين يباع برية كيلاً، ولا يباع بإشبيلية وقرطبة إلا وزناً، وكذلك سائر الأشياء.

ولا سبيل إلى أن يعرف كيف كان يباع ذلك على عهد رسول الله ﷺ، أصلاً، فحصل الربا لا يدري ما هو حتى يجتنب؟ وما ليس هو فيستعمل وصار الحرام والحلال في دين الله تعالى أمشاجاً مختلطين لا يعرف هذا من هذا أبداً»[4].

إذن فلفظة «وكذلك الميزان» لا تدل إلا على ما يوزن من الذهب والفضة وما يقوم مقامها فقط، والله أعلم.

أما الأصناف الأربعة البر، والشعير، والتمر، والملح فيتعدى الربا منها إلى غيرها من المطعومات وبرهانه ما أخرجه الإمام مسلم وغيره.

أن معمراً بن عبد الله قال: كنت أسمع

(١) «فتاوى ابن تيمية»: (٢٩ / ٤٧١).

(٢) انظر «حاشية الخرشي»: (١٣ / ٤١٢) و«المجموع للنووي: (٩ / ٤٤٥) و«المغني» و«الشرح الكبير» (٤ / ١٢٦).

(٣) «أعلام الموقعين» (٢ / ١٥٦).

(٤) «المحلى بالأثر» (٧ / ٤٢٣-٤٢٤).

رسول الله ﷺ، يقول:

«الطعام بالطعام مثلاً بمثل».

قال الدكتور عمر بن عبد العزيز المترك:

«ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن النبي ﷺ، قد رتب التماثل على اسم الطعام، وهو اسم لكل ما يؤكل... والعلة وهي الطعم، والجنس شرط، وهو ما ذهب إليه الإمام الشافعي، والرواية الثانية عن الإمام أحمد، ويترتب على ذلك أن الربا يجري في كل ما يطعم من الأقوات والإدام والحلاوات والفواكه سواء كانت مكيلة أم غير مكيلة، فيجري الربا فيما كان مكيلاً؛ كالأرز، والذرة، أو موزوناً؛ كاللحم والسمك والسمن والخضروات، وفيما ليس بمكيل ولا موزون لكنه مطعوم كالبيض والجوز ونحوهما»[1].

وقد يقال: إن معمراً -رضي الله عنه- قال عقب الحديث السابق:

«وكان طعامنا يومئذ الشعير «فهذا صريح في أن الطعام في عرفهم الشعير، وقد تقرر في الأصول: أن العرف المقارن للخطاب من مخصصات النص العام.

وأقول: إن في هذا القول نظراً، وذلك لأن طعام الناس يختلف من وقت لآخر ومن حال إلى حال.

فهذه عائشة -رضي الله عنها- تقول: «إن كنا -آل محمد ﷺ-، لنمكث شهراً ما نستوقد بنار. إن هو إلا التمر والماء»[2].

وعن أم هانئ قالت:

دخل على النبي، ﷺ، فقال:

«أعندك شيء؟ .فقلت: لا، إلا خبز يابس وخلٌّ، فقال:

«هاتي، ما اقفر[3] بيتٌ من أدم فيه خلٌّ»[4].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فيحتمل أن معمراً لما قال: «وكان طعامنا يومئذ الشعير «لا يعني به عهد النبي، ﷺ، إنما في عهده هو أي: بعد وفاة النبي ﷺ، لذلك بعث غلامه ليبيع البرَّ بالشعير.

والله تعالى أعلم.

(١) «الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية» (ص١١٥-١١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٨) بنحوه، والإمام مسلم برقم (٢٩٧٢) واللفظ له وغيرهما.

(٣) أي: ما خلا من الإدام.

(٤) أخرجه الترمذي «صحيح الترمذي» (١٩١٩) وفي «الشمائل المحمدية» (١٤٦) وغيرهما، وانظر «الصحيحة» برقم (٢٢٢٠).

الحَوْرُ بعد الكَوْر

• بقلم: أبي عبد الرحمن إبراهيم بن عبدالله المزروعي

إن ظاهرة الرجوع عن الالتزام بهذا الدين قد انتشرت في المسلمين، فكم من الناس يشتكي من قسوة قلبه بعد أن كان قبلُه مطمئناً بذكر الله وطاعته، وكم من الملتزمين يقول: (لا أجد لذة العبادات كما كنت أشعر بها)، وآخر يقول: (لا أتأثرُ بقراءة القرآن)، وثالث يقول: (أقع في المعصية بسهولةٍ)، وقد كا ن يخشاها، وكثيرون تبدوا آثارُ هذا المرض عليهم ومنها:

١- الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرّمات بل والإصرار عليها بعد أن كان يخشاها.

٢- الشعور بقسوة القلب فلا يتأثر بموعظة الموت ولا رؤية الأموات والقبور.

٣- عدم إتقان العبادات، فلا تجدُ لذّة في أداء الصلاة وتلاوة القرآن وغيرها، وتجدُ التكاسل عن الطاعات والعبادات بل وإضاعتها بسهولةٍ، بعد أن كان يحرص عليها.

٤- الغفلة عن ذكر الله؛ فلا يحافظ على الأذكار الشرعية بعد أن كان حريصاً عليها.

٥- احتقارُ المعروف وعدمُ الاهتمام بالحسنات القليلة بعد أن كان يحافظ عليها.

٦- الفزع والخوف عند نزول المصيبة أو حدوث مشكلة بعد أن كان قوياً ثابت الإيمان بقضاء الله وقدره.

٧- التعلقُ بالدنيا والشغف بها إلى درجة الشعور بالألم إذا فاته شيءٌ منها، بعد أن كان يتطلع إلى الآخرة وما فيها من النعيم قال -تعالى-: ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرةُ خيرٌ وأبقى**﴾.

٨- المغالاة في الاهتمام بالنفس مأكلاً

ومشرباً وملبساً ومسكناً ومركباً، وقد كان يهتمُّ بتحسين أخلاقهِ وزيادة التزامه وتمسّكه بالدّين. وآثار هذه الظاهرة كثيرةٌ جداً.

وقد تعوّذ النبي ﷺ من الحور بعد الكور؛ فعن عبد الله بن سرجس -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذُ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والحوْر بعد الكوْر..» رواه أحمد ومسلم (١٣٤٣) والأربعة إلا أبا داود وفي رواية -الترمذي «..ومن الحوْر بعد الكون..».

قال النوويُّ: «كلاهما روايتان ذكرهما خلائق من المحدثين ومن أهل اللغة وغريب الحديث» شرح مسلم (٩ / ١١٩).

فما معنى الحوّر بعد الكوْر؟

قال ابن الفارس: «الكوْر: الرجوعُ؛ فيقالُ: حار إذا رجعَ، وقال الله -تعالى-: ﴿**إنه ظنَّ أن لن يحور. بلى..**﴾

والعرب تقول: الباطل حور؛ أي: رجع ونقص، ويقالُ: نعوذُ بالله من الحوْر، وهو النقصانُ بعد الزيادة»، معجم مقاييس اللغة (٢ / ١١٧).

قال ابن منظور في «لسان العرب» (٤ / ٢١٧): «وفي الحديث: نعوذ بالله من الحوْر بعد الكوْر؛ معناهُ: من النقصان بعد الزيادة، وقيل معناهُ: من فساد أمورنا بعد صلاحها..».

وفسَّره الترمذيُّ بقوله: «ومعنى قوله: «الحور بعد الكون أو الكور، وكلاهما له وجهٌ، إنما هو الرجوعُ من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية..» سنن الترمذي (٥ / ٤٩٨).

إذاً؛ فالحوْر بعد الكوْر: تغيرُّ حال الإنسان من الإيمان إلى الكفر، أو من التقوى والصلاح إلى الفجور والسوء، أو من الهداية إلى الضلال؛ فهو درجاتٌ ودركات، فإذا تراجع المرء إلى الوراء يخشى عليه من سوء الخاتمة.

والمعلوم أن الأعمال بالخواتيم: فعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة، وإنَّه من أهل النار، وإنما الأعمالُ بالخواتيم» رواه البخاري (٦٦٠٧).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الرجل ليعملُ الزمن الطويل بعمل أهل الجنّة، ثم يُختمُ له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يُختمُ له عملُه بعمل أهل الجنة» مسلم (٢٦٥١) وأحمد.

هذه النصوص وغيرها تبينُ لنا أن العبرة ليست بما يعمله المرء في حياته بل بما يختمُ له ويموتُ عليه.

فالموضوع خطيرٌ جداً، ومهمٌ في غاية الأهمية: فلا يشعر أحدُنا بأنه اجتاز القنطرة ووصل إلى برِّ الأمان بسبب التزامه، وأمن من الضلالة، ومن الحوْر بعد الكوْر.

فالثباتُ من الله -عز وجل- وحده، وهو -تعالى- ثبتَ نبيّهُ ﷺ، فقال -عز وجل-: ﴿**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركنُ إليهم شيئاً قليلاً...**﴾ [الإسراء: ٧٤].

ولذلك علّمنا ﷺ بأن ندعو الله -تعالى- أن يثبتنا على الدين، وكان يقول: «يا مثبت القلوب، ثبت قلوبنا على دينك» أحمد وابن ماجه، وكان كثيراً ما يقول في قسمه: «لا ومقلب القلوب» البخاري (٧٣٩١). وكان من دعائه: «اللهم يا مصرّف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك..» مسلم (٢٦٥٤).

فلابد للمؤمن أن يتحسس قلبه ويعرف مرضه وسبب المرض، ويشرع في العلاج قبل أن يقسو قلبُه وتسوء خاتمتُه، فما هي أسباب الحور بعد الكوْر؟ وما هي وسائل العلاج لذلك؟

أسباب الحوْر بعد الكوْر:

١- ضعف الإيمان: هو قسوة القلب وسهولة الوقوع في المعاصي والتكاسل عن الطاعات وعدم التأثر بالقرآن والصلاة، وقلة الخوف من الله، وكثرة الجدال والمراء وعدم استشعار المسؤولية أمام الله -تعالى- وغيرها من المظاهر، وذلك بسبب الابتعاد عن الرفقة الصالحة ومجالس العلم، والانشغال بالدنيا وطول الأمل وارتكاب المحرَّمات، فإذا ضعف الإيمان تغيَّر حالُ المسلم من الصلاح والاستقامة إلى الضلال والانحراف، فلابد من علاج ضعيف الإيمان، وذلك بالإخلاص وتدبّر القرآن والخوف من الله -تعالى- والتوبة من الذنوب والمعاصي والخوف من سوء الخاتمة وتذكر الموت والآخرة.

٢- الابتعاد عن الأجواء الإيمانية: مجالس العلم، والمسجدُ، والقرآن والرفقة الصالحة والقُدْوَةُ وقيامُ الليل والأذكارُ وغيرها، فالابتعادُ عن هذه الأجواء الإيمانية يؤدي إلى التراجع والانتكاس، فإذا ابتعد المرء عن إخوانه الصالحين، فترة طويلة لسفرٍ أو وظيفةٍ أو نحو ذلك؛ فإنّه يفتقد الجوَّ الإيماني فيضعفُ ويتراجعُ عن التزامه إذا لم يتدارك

نفسه.

قال الحسن البصريُّ: «إخواننا أغلى عندنا من أهلينا، فأهلونا يذكروننا الدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة».

فعلى المسلم أن يحافظ على التزامه بمجاهدة نفسه على التواجد في هذه الأجواء الإيمانية.

٣- ضغط البيئة والوسط الذي يعيش فيه المسلم الملتزم: فهو يختلط بمن يتباهى بمعصيةٍ ارتكبها، وآخرُ يترنّم بألحانٍ أغنية، وثالث يُدخّنُ، ورابع يقرأ مجلةً، وخامسٍ لسانُه يغتابُ ويسبُّ ويستهزئُ بالمؤمنين فإذا حضر مجلساً أو دعوة أو وليمةً، وجد المنكرات، ووجد أحاديث التجارة والوظيفة والأموال والاستثمارات ومشكلات الدنيا وغيرها من الأمور التي تعمقُ حب الدنيا في القلب، فيقسو القلب، ويتراجعُ عن التزامه وصلاحه؛ وإذا ابتُلي بمالٍ أو زوجةٍ ضعيفةِ الإيمان أو أولاد مثل أمّهم، ولم يستطع الثبات تراجع وترك الصلاح والاستقامة. وإذا اختلط مع أقاربه وجيرانه وزملائه في العلم، وجد الكلمات الجارحة والسخرية الظاهرة والمبطّنة ووجد النصائح التي تصدّ عن التزامه، تراجع ونكص على عقبيه فخسر الدنيا والآخرة.

٤- ضعفُ التربية الذاتية: إذا لم يتعاهد المسلم نفسه بالرعاية والتربية والمجاهدة، تراجع وانتكس، فلابد من ساعات يخلو فيها مع الله -تعالى-، ويحاسب نفسه ويستغفر ويتوب، وساعات يقضيها في تحصيل العلم الشرعي وتعلّمه ومطالعته ومذكراته، وساعات لمبادرات فردية دعوية، وساعات لذكر الله -تعالى- وتلاوة القرآن، حتى يحافظ على التزامه.

٥- ومن أسباب الحوْر بعد الكوْر: الاستهانة بالذنوب والمعاصي:

قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميتُ القلوب
وقد يورث الذلّ ادمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخيرٌ لنفسك عصيانُها

فالذنوب واحتقارها والإصرارُ عليها والإستهانة بها من أهم أسباب التراجع والإتكاس.

قال ابن القيم: «إن من عقوبات الذنوب أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة أو تعوقُه أو تقطعُه عن السير، هذا إذا لم تردُّه عن وجهته إلى ورائه؛ فالذنب يحجبُ الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب، والقلبُ إنما يسيرُ

إلى الله بقوته، فإذا مرض القلب بالذنوب ضعفت تلك القوةُ التي تُسيِّرُه» الجواب الكافي (ص١٤٠).

والاستهانة بالذنوب لها نتائج وخيمةٌ على المرء منها: أنها مدعاةٌ لزيادة الإثم، وأنها مما يُبعد المرء عن طريق التوبة، وأنها تدعو إلى عدم النفرة من أهلها؛ فيتهاون في صحبتهم ومجالستهم بل قد تدعوه الذنوب إلى الابتعاد عن أهل الصلاح والتقوى، وهذا وحده من أعظم أسباب التراجع والإنحراف عن الصراط المستقيم.

٦- الغرور والإعجابُ بالنفس لدى بعض الملتزمين: لاشك أن حضور مجالس العلم ومرافقة الصالحين تدلُّ على وجود الخير في المرء ولكن إذا دخل الغرور والإعجاب إلى النفس أثر على صاحبه فيشعر بالكمال ولا يرى حاجةً في الازدياد من طرق الخير والعمل الصالح وإذا أعجب المرء بنفسه زال من قلبه خوف سوء الخاتمة، وأمن من الضلالة بعد الهدى، وهذا من علامة ضعف النفس وسبب من أسباب التراجع والنكوص وإذا أعجب المرء بنفسه انشغل بعيوب الآخرين وأهمل إصلاح عيوبه فلابد من معالجة النفس ودفع الغرور بالتواضع والخوف وإصلاح العيوب والتوبة.

٧- الصديقُ والصاحب: فالجليس له دورٌ مهمٌ في تشكيل سلوك صاحبه والتأثير عليه، فإذا كان الصديقُ يشاهد الأفلام والمجلات الضارة ويسمع الأغاني والموسيقى لابد أن يؤثر على صاحبه فقد يري تلك المخالفات منه فيجامله ولا ينكر عليه، وقد يراه مقصراً في العبادات ويترك السنن، فقد يتأثر به ويتراجع عن التزامه.

فلذلك لابد من اختيار الرفيق الصالح الذي يعينُ على طاعة الله -تعالى- وفي الحديث الصحيح: «الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل».

٨- وهناك أسبابٌ أخرى للحوْر بعد الكوْر منها:

-ضعف الجدية في الالتزام وعدم الصبر على مشاقِّه وابتلاءاته.

-طول الأمل والغلوُّ والتشديدُ على النفس فوق طاقتها.

-أمراض القلوب وآفاتُ اللسان.

-ضعف الشخصية والتبعيةُ للأشخاص.

-رواسب الماضي وعدمُ التلخص منها.

فما هي وسائلُ العلاج؟؟

أثناء ذكرنا لأسباب الحوْر بعد الكوّر: لا حظنا بعض وسائل العلاج لهذه الظاهرة

فضعف الإيمان علاجه تقوية الإيمان، والابتعادُ عن الأجواء الإيمانية علاجه المحافظة على هذه الأجواء الإيمانية وزيادتُها، وضعف البيئة علاجه الصبُر، وزيادة الاستقامة واللجوءُ إلى الله -تعالى-، وضعف التربية الذاتية علاجه الاهتمامُ بالتربية الذاتية وتنظيم الوقت ومجاهدة النفس، والذنوبُ والمعاصي علاجها التوبةُ والاستغفار وعدمُ الاستهانةِ بها. وأما أمراض القلوب وآفاتُ اللسان فالعلاج التخلصُ منها والتوبةُ الصادقة، أما الصديق والصاحبُ فعلاجه اختيارُ الرفقة الصالحة والصديق الصالح.

وهناك وسائل أخرى لعلاج الحوْر بعد الكوّر منها:

١- الإخلاص والصدقُ مع الله أهم أسباب الإستقامة والصلاح:

قال ابن القيم -رحمه الله-: «إنما يجدُ المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، أمّا منْ تركها صادقاً مخلصاً من قلبه لله فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلةٍ ليُمتحن أصادقٌ هو في تركها أم كاذبٌ، فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة» الفوائد (١٩٩).

٢- الخوف من سوء الخاتمة: فالمؤمن الصادق لابد أن يخاف من سوء الخاتمة ويحذر من أسبابها، قال الله -تعالى- عن يوسف عليه السلام: ﴿..**توفني مسلماً وألحقني بالصالحين**﴾ [يوسف: ١٠١].

وبكى سفيان الثوري ليلةً حتى الصباح فلمّا سألوه قال: «إنما أبكى خوف سوء الخاتمة» كتاب العاقبة لعبد الحق الأشبيلي (١٧٨).

قال الإمام البربهاري: «واعلمْ أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً، لأنه لا يدري على ما يموتُ، وبما يختُمُ له، وعلى ما يلقى الله -عزّ وجلَّ-، وإن عمل كلَّ عملٍ من الخير) شرح السنة(٣٩).

والخوف من سوء الخاتمة له نتائجه الكثيرة؛ فهو يدفع المرء للتسليم لله والتوجُّه له بالدعاء، وهو يدعو للاجتهاد في الطاعة وزيادة الاستقامة والصلاح وخوف التراجع والنكوص.

٣- الدعاءُ: الدعاءُ من الله -تعالى- بأن يعيذنا من الحوْر بعد الكوْر، وقد مرَّ

معنا في أول البحث أن من دعائه ﷺ «..ونعوذ بك من الحوْر بعد الكوْر..» رواه أحمد ومسلم (١٣٤٣)، والترمذي والنسائي وغيرهم. وقد كان كثيراً ما يدعو: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» الترمذي وأمرنا أن نسأل الله أن يجددّ الإيمان في قلوبنا فقال رسول الله ﷺ «إن الإيمان ليخلقْ في جوف أحدكم كما يخلق الثوبُ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم» أخرجه الحاكم وهو في «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (١٥٨٥) فعلينا من الإكثار من الدعاء.

٤- المداومة على العمل الصالح والاستكثار منه: فإن العمل الصالح الذي يداوم عليه صاحبُه هو أحبُ الأعمال لله -تعالى- كما قال ﷺ: «وأن أحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلَّ..» متفقٌ عليه.

فإذا داوم المسلم على العلم الصالح؛ فإنه يعيش في جوٍّ الصلاح والاستقامة والخير، فإذا أصابه الضعفُ والفتور فإن هذه الأعمال التي يداوم عليها تكون مدعاة لاستفاقتة ورجوعه وتدارك نفسه، وينبغي أن يراعى المسلم في مسألة الأعمال الصالحة أموراً منها:

المسارعة إليها والمسابقة: قال -تعالى-: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة..﴾**، والاستمرار عليها والمحافظة «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه..» البخاري (٦١٣٧). والاجتهاد فيها والإكثار منها والتنويعُ فيها حتى لا تمل النفس.

٥- قال ابن مسعود: «كان النبي ﷺ يتخوّلنا الموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا) البخاري (٦٨) فلابد للمسلم أن يأخذ نصيبه من مجالس الوعظ وكتب الرقائق والمواعظ.

٦- وهناك وسائل كثيرةٌ أخرى لعلاج ظاهرة الحوْر بعد الكوْر منها:

ذكر الله تعالى، قصَرُ الأمل، تعظيم حرمات الله، التفكر في حقارة الدنيا، محاسبة النفس، العملُ والمشاركة الدعوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ونعوذ بالله -تعالى- من الحوْر بعد الكوْر، فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك، واللهم أحسن خاتمتنا.

الحلقة الأولى

الدعوة السلفية

أصولها... مقاصدها... أسباب النهوض بها...

• العلاّمة المجدد شيخ الإسلام محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-

أصول الدعوة السلفية قائمة كما يعلم الجميع على ثلاث دعائم:

الدعامة الأولى: القرآن الكريم، **والدعامة الثانية**: السنة الصحيحة، ويركز السلفيون في كل بلاد الدنيا على السنة الصحيحة؛ ذلك لأن السنة بإجماع أهل العلم قد دخل فيها ما ليس منها منذ أكثر من عشرة قرون، هذا أمر لا خلاف فيه؛ ولذلك فمن المتفق عليه أيضاً أنه لابد من تصفية السنة مما دخل فيها مما ليس منها؛ ولذلك فالسلفيون يتبنون أن هذا الأصل الثاني -السنة- لا ينبغي أن يؤخذ على واقعه؛ لأن فيه الضعيف والموضوع مما لا يجوز الأخذ به حتى ولا في فضائل الأعمال هذا هو الأصل الثاني وهذا متفق عليه تقريباً بين المسلمين سلفاً وخلفاً أما **الدعامة الثالثة**: وهو مما تتميز به الدعوة السلفية على كل الدعوات القائمة اليوم على وجه الأرض ما كان منها من الإسلام المقبول وما كان منها ليس من الإسلام إلا إسماً، فالدعوة السلفية تتميز بهذه الدعامة الثالثة ألا وهي إن القرآن والسنة يجب أن يُفهما على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين واتباعهم أي: القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية بنصوص الأحاديث الكثيرة المعروفة، وهذا عليه الأدلة الكافية التي تجعلنا نقطع بأن كل من يريد أن يفهم الإسلام من الكتاب والسنة بدون هذه الدعامة الثالثة فسيأتي بإسلام جديد، وأكبر دليل على ذلك الفرق الإسلامية التي تزداد في كل يوم؛ والسبب في ذلك هو عدم التزامهم هذا المنهج الذي هو كتاب وسنة رسوله وفهم السلف الصالح، لذلك نجد الآن في العالم الإسلامي طائفة نبغت من جديد طلعت علينا من مصر[1] ثم بثت أفكارها وسمومها في كثير من العالم

(١) هي جماعة «التكفير والهجرة» (الأصالة).

الإسلامي يدعون أنهم على الكتاب والسنة وما أشبه دعواهم بدعوى الخوارج تماماً؛ لأنهم أيضاً كانوا يدعون التمسك بالكتاب والسنة، **ولكنهم كانوا يفسرون الكتاب والسنة على أهوائهم لا يلتفتون إطلاقاً إلى فهم السلف الصالح خاصة الصحابة**، وأنا لقيت من هؤلاء أفراداً كثيرين وقد جادلتُ رئيساً من رؤوسهم فهو يصرح بأنه لا يعتد بتفسير الآية ولو جاء عن عشرات من الصحابة، فهو لا يقبل هذا التفسير إذا كان هو لا يراه، والذي يقول هذا القول لا يستطيع أن يقرأ آية بدون لحن وغلط وخطأ فيها، هذا هو سبب انحراف الخوارج القدامى الذين كانوا عرباً أقحاحاً فماذا نقول عن الخوارج المحدثين اليوم الذين هم إن لم يكونوا أعاجم فعلاً فهم عرب استعجموا وليسوا عجماً استعربوا؟ هذا واقعهم فهؤلاء يصرحون بأنهم لا يقبلون تفسير النص إطلاقاً إلا إذا أجمع عليه السلف هكذا يقول قائلهم تمويهاً وتضليلاً؛ فقلت له: وهل تعتقد إمكان إجماع السلف على تفسير لنص من القرآن؟

قال: لا هذا مستحيل.

قلت: إذاً أنت تريد أن تتمسك بالمستحيل أم أنت تتستر؛ فخنس، وسكت.

الشاهد: أن سبب ضلال الفرق كلها قديماً وحديثاً هو عدم التمسك بهذه الدعامة الثالثة: أن نفهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح.

المعتزلة، المرجئة، والقدرية، والأشعرية، والماتريدية وما في هذه الطوائف كلها من انحرافات سببها أنهم لم يتمسكوا بما كان عليه السلف الصالح؛ لذلك قال العلماء المحققون:

وكل خير في إتباع من سلف

وكل شر في إبتداع من خلف

هذا ليس شعر هذا كلام مأخوذ من الكتاب والسنة ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ لماذا قال: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين؟﴾ كان يستطيع ربنا أن يقول: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً فلم قال ويتبع غير سبيل المؤمنين؟ حتى لا يركب رأسه أحد ويقول: أنا فهمت القرآن هكذا وفهمت السنة هكذا يقال له يجب أن تفهم القرآن والسنة على طريقة السلف المؤمنين الأولين السابقين، وأيَّد هذا النص من القرآن نصوص من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام كحديث الفرق «قال كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: الجماعة، وفي أخرى: «ما

أنا عليه وأصحابي»؛ لماذا وصف الفرقة الناجية بأن تكون على ما كانت عليه الجماعة؟! وهي جماعة الرسول عليه الصلاة والسلام لكي يسد الطريق على المؤولين والمتلاعبين بالنصوص.

ومثال ذلك: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ نص صريح في القرآن: أن الله -عز وجل- يمتن على عباده المؤمنين يوم القيامة فيرون وجهه الكريم كما قال الفقيه الشاعر السلفي:

يراه المؤمنين بغير كيف
وتشبيه وضرب للمثال

قال المعتزلة: لا يمكن للعبد أن يرى ربه لافي الدنيا ولا في الآخرة.

لكن أين تذهب بالآية؟ قال: الآية معناها وجوه يومئذ ناظرة إلى نعيم ربها، فقيل: تأويل إلى نعيم ربها، وربنا قال إلى ربها من أين جئت بهذا؟ قال: هذا مجاز؛ لأجل ذلك أنكر ابن تيمية المجاز في القرآن؛ لأنه كان معولاً من أعظم المعاول وأقواها هدماً للعقيدة الإسلامية، هذا النص يثبت لله -عز وجل- نعمة منه على عباده أن يروه يوم القيامة فيقول هؤلاء لا يمكن.

وكذلك قوله -تعالى-: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** لا ليس سميعاً بصيراً ، قيل: لمَ؟ قالوا: لأننا إذا قلنا سميع بصير شبهناه بأنفسنا، قيل: إذاً ما معنى سميع بصير؟ يعني عليم سميع لفظتان عربيتان سميع بصير يساوى عندهم عليم؛ لكن هل انتهيت من المشكلة؟ وفلان عليم في اللغة العربية تعبير لا بأس فيه، ويجوز أن نقول عن الإنسان عليم يعني مبالغة في الوصف هل يجوز أن نقول فلان عليم؟ نعم إذاً ما نقول الله عليم؛ لأنه صار في تشبيه لله بعبد الله، وهكذا عطلوا صفات الله -عز وجل- ووصل بهم الأمر أن أنكروا وجود الله سواء اعترفوا أم لم يعترفوا فذلك يلزمهم، ورحم الله ابن القيم حين يقول: **«المجسم يعبد صنماً، والمعطل -يعني المؤول- يعبد عدماً»**، ولذلك يقول هؤلاء المؤولة الذين لم يلتزموا منهج السلف الصالح في آيات الصفات وأحاديث الصفات يقولون الله لا فوق هل تجدون في القرآن الله لا فوق؟ نجد في القرآن يصف عباده: **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾**، **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** **﴿تعرج الملائكة﴾** **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** وإلى آخر ذلك، الله لا فوق! إذن تحت؟ لا تحت إذاً يمين؟ لا، لا يمين لا يسار لا أمام لا خلف لا داخل العالم لا خارجه إذن ماذا بقي من وجود الله؟ العدم

هذا هو العلم الذي تورط فيه كل علماء الكلام بدون إستثناء إلا من كان على منهج السلف الصالح، كل علماء الكلام لا أستثني لا أشاعرة ولا ماتريدية، إلا أفراد منهم آمنوا بما كان عليه السلف الصالح كما قال بعضهم:

ورب العرش فوق العرش لكن

بلا وصف التمكن واتصال

يعني ليس كمثله شيء؟ الله وصف نفسه بأنه على العرش استوى ورب العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال، انظروا يا أخواننا الشباب -بصورة خاصة- ألا نزعم بأننا نريد أن نحقق المجتمع الإسلامي وأن نقف جبهة أمام الإلحاد والشيوعية ونحوها من الأحزاب فبم نقف أمامهم؟ أبعلم كتاب الله وحديث رسول الله على منهج السلف الصالح أم بعلم الكلام؟

لكن أقول من الخير لكم أو لبعضكم أنه لم يقرأ علم الكلام هذه حقيقة، ولا يعرف أنه قد يسمع هذا الكلام؛ فيستغرب أيوجد في المسلمين من يعتقد هذه العقيدة؟ نعم إقرأوا كتب الغزالي «إحياء علوم الدين» وبعض الرسائل الجديدة المطبوعة المنشورة اليوم باسم العقائد؛ فستجدون فيها الجحد مطبوع اليوم طبعة جديدة عصرية وأن الله لا فوق ولا تحت لا يمين لا يسار إلى آخر ذلك.

ولذلك رحم الله أحد أمراء دمشق حضر مناقشة جرت بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأمثال هؤلاء المعطلة لما سمع كلامهم وسمع كلام ابن تيمية مستند على الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح إقتنع أن هذا هو العقيدة الصحيحة، والتفت إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: «هؤلاء -يشير إلى المشايخ- قوم أضاعوا ربهم»، كلام صحيح هؤلاء قوم أضاعوا ربهم، لماذا لا فوق لا تحت لا يمين لا يسار إلى آخره.

الشاهد في هذا المجال ما الذي أودى بعلماء المسلمين فضلاً عن طلاب العلم فضلاً عن عوام المسلمين إلى هذا الحضيض وهذا الضلال المبين؟

نحن ننصح كل المسلمين في عالم الدنيا كلها أن يضموا إلى ضرورة التمسك بالكتاب والسنة هذه الركيزة الثالثة على منهج السلف الصالح، وإلا فكل طائفة في الدنيا تقول نحن على الكتاب والسنة، أضل فرقة اليوم تنتمي للإسلام تصلي الصلوات الخمس، وتحج إلى بيت الله الحرام القاديانية مع ذلك هم ينكرون حقائق من الإسلام باسم التأويل وعدم التمسك بما كان عليه المسلمون حتى الخلف؛ لأن المسلمين جميعاً اتفقوا على أنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ فكيف جاء هؤلاء يدعون

الإسلام يقولون جاء نبي اسمه ميرزا غلام أحمد القادياني وسيأتي من بعده أنبياء كثر، وجاء أحد تلامذته، وحاول بث هذه الفكرة وقام المشايخ الحمد لله تارة بالسياط، وتارة بالصياح، وتارة بالكلام، والحمد لله كُفينا شرهم وكان لي مشاركة في المجادلة معهم كثيرة.

الشاهد كيف ضل هؤلاء؟ قال عليه السلام: «لا نبي بعدي» تعرفوا ما معنى لا نبي بعدي؟ زعموا: معي ما في نبي؛ لكن إذا مت يوجد نبي؛ فأولوا النص، وقالوا: ولكن رسول الله خاتم النبيين، ما معنى خاتم النبيين؟ زينة النبيين؛ فمعنى الخاتم زينة الأصبع فالرسول زينة الأنبياء وليس معناها ما يجيء بعد منه نبي لا، إذاً هل المسلمين كلهم كانوا على خطأ في فهم هذ النصوص.

والبحث كثير وطويل جداً فحسبنا الآن أصول الدعوة السلفية ثلاثة: الكتاب، والسنة الصحيحة، وعلى منهج السلف الصالح.

أما مقاصدها فلا شك أن من مقاصدها هو أن يحققوا المجتمع الإسلامي الذي به يمكن تحقيق الحكم بالإسلام لا بسواه، حكم للإسلام في غير مجتمع إسلامي ضدان لا يجتمعان.

والخلاصة: فمذهب السلف يجب التمسك به، وهو الضمان في أن يكون المسلم من الفرقة الناجية، وألا يكون من الفرق الضالة ذلك هو العصمة، ولابد من لفت النظر أخيراً إلى أننا حينما ندعو المسلمين جميعاً إلى التمسك بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح لما ذكرناه من البيانات والأدلة الصحيحة فنحن لا نكون متباعدين عنهم من أصل الإيمان بالكتاب والسنة ولكننا نحسن دعوتهم إلى الكتاب والسنة لأننا نعتقد أنهم مرضى في عقائدهم التي انحرفوا فيها عن الكتاب والسنة؛ فندعوهم كما هو واجب الدعوة وهي قاعدة أساسية في كل من يريد أن يدعو إلى الإسلام ألا وهو قوله -تبارك وتعالى-: ﴿**أُدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾.

فيجب ألا نتهاون مع هؤلاء الناس الذين انحرفوا عن منهج السلف الصالح ليس فقط في كثير من الأحكام بل وفي كثير من العقائد كما ذكرنا آنفاً فيما يتعلق بالصفات ونحو ذلك؛ فنحن ندعوهم بالتي هي أحسن، ولا نباينهم ولا نفارقهم لقوله عليه الصلاة والسلام «لأن يهدي الله على يديك رجلاً أحبُ إلي من حُمر النعم».

الشيخ محمد بن عبدالله الصومالي

● بقلم: الشيخ عمر بن محمد السبيل، وحسن عبدالرحمن المعلم

الحمد لله وحده، الصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وآله وصحبه، وبعد:

فإن فضيلة الشيخ محمد عبدالله الصومالي -رحمه الله- المدرس بالمسجد الحرام، وبدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة؛ عالم جليل، ومحدث ضليع، حضرت دروسه في المسجد الحرام أوائل سني الطلب في «صحيح البخاري» وغيره في عام (١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ)، واستفدت من علمه، وحسن أدبه وخلقه، فلقد كان -رحمه الله- متمكناً في علم الحديث، ومصطلحه، وله في علم الرجال والأسانيد على وجه الخصوص قدم راسخة وباع طويل مع مشاركة حسنة في سائر العلوم الشرعية، والعربية، وقد نفع الله تعالى بتدريسه في المسجد الحرام وبدار الحديث، وتخرج عليه طلاب علم كثيرون من أنحاء العالم الإسلامي، وكان رحمه الله على جانب كبير من الصلاح والتقوى مع تواضع، ودماثة خلق، وزهد وورع وإعراض عن الدنيا، وعدم انشغال بغير العلم الشرعي، والعبادة والطاعة، حتى لقي وجه ربه، تغمده الله تعالى بواسع رحمه ورضوانه، وتقبله في عباده الصالحين، وأنزله منازل الأبرار في عليين، إنه تعالى سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

قاله الشيخ عمر بن محمد السبيل إمام المسجد الحرام.

● موطنه ونشأته:

الشيخ المحدث محمد بن عبدالله بن أحمد الصومالي يمتد نسبه إلى قبيلة أمادن أغادين في الصومال الغربي المحتلة من قبل الحبشة.

ولد الشيخ محمد بن عبدالله الصومالي في بداية هذا القرن الميلادي في العاشر أو

قريباً منه؛ لأن الشيخ قد رأى المجاهد الصومالي المعروف بسيد محمد عبدالله وهو يعقل، وقد توفي السيد محمد في (١٩١٩م).

● **رحلته للعلم:**

طلب العلم من صغره وهو في السابعة أو في الثامنة من عمره، وبدأ حفظ القرآن، وقرأ على الشيخ حسن، ثم قرأ كتاب «سفينة النجاء» في فقه الشافعي على الشيخ عبدالرحمن عول، ثم قرأ على الشيخ حاج علي تمعسي في «المنهاج» في فقه الشافعي، ثم قرأ بعده على الشيخ محمد نور حرسي في النحو «متن الآجرومية»، ثم «شرحها» للعشماوي، ثم «ملحة الإعراب» ثم «لامية الأفعال» في الصرف والمنهاج.

وبعد أن أتم الشيخ الدراسة على علماء بلده آثر الرحلة في طلب العلم اقتداء بسلفه الصالح، وكانت رحلته الأولى إلى الحبشة في منطقة (جكجكا) ومنطقة (فافن) في مسيرة عشرة أيام من بلده، وكان آنذاك في العشرين من عمره، ودرس «نظم العمريطي» على الشيخ محمد معلم حسين، ودرس «لامية الأفعال»، و«ملحة الإعراب» على الشيخ عبدالنور، و«قطر الندى» و«ألفية ابن مالك» على الشيخ أروبو، ثم قرأ علم البيان على الشيخ علي جوهر، ثم على الشيخ حسن بن الشيخ حسن ودامت رحلته إلى الحبشة حوالي عامين.

وأثناء رحلته مرض الشيخ مرضاً شديداً بسبب اختلاف الأغذية بين الصومال والحبشة ومَرَّضته عمته، وعندما تماثل للشفاء عزم على الرحلة وأعطته عمته ثوراً فباعه وواصل رحلته إلى جيبوتي؛ فقرأ على الشيخ علي جوهر كتاب «سفينة النجاة» ولم يكمله، ولم تطل إقامته أكثر من شهرين، فركب البحر صوب اليمن، فلعب بهم الموج حتى يأسوا من الحياة حتى حلف الشيخ ألا يركب البحر، فوصلوا إلى زبيد في اليمن فمكثوا فيها ثلاثة أشهر، فقرأ فيها كتاب «السفينة» في فقه الشافعية؛ ثم سافر إلى بلاد قطيع فجلسوا هناك شهراً يستمعون المنهاج في فقه الشافعية عند الشيخ يحيى مفتي بلاد قطيع، ثم انتقلوا إلى صنعاء فكانت دراستهم في العلوم العربية فقرؤوا «قواعد الإعراب» و«قطر الندى» و«الجوهر المكنون»، و«الألفية» و«الأشموني»، ورفضوا مذهبهم (الزيدي) وقالوا لهم: نحن شافعيون، فلم يلزموهم بقراءة مذهبهم، ثم نصحه أحد المشائخ وهو الأستاذ يحيى العيسى بقراءة علم الحديث.

فبدأ الشيخ محمد حفظ «بلوغ المرام» وحفظ منه خمسمائة حديثاً، ثم بدأ بقراءة كتاب «سبل السلام» على أحد المشائخ المشهورين وكان من شيوخه في العربية في اليمن الشيخ لطفي والشيخ علي فضة والشيخ

الكبسي.

ثم أراد الشيخ الرحلة إلى أرض مصر لطلب العلم، ولكن جاءت الحرب العالمية الثانية؛ فأقفلت الطرق البحرية.

ثم قابل الشيخ محمد رجلاً جاء من مكة فسأله عن مكة المكرمة فأجاب هذا الرجل بقوله: «يا محمد إن في مكة مدرسة يدرس فيها الحديث تسمى «دار الحديث» فأعجبه ذلك فسافر من صنعاء في آخر عام (١٣٥٩ هـ) مع الحجاج، وقد أوصى الإمام يحيى أمير الحج به؛ فأعطاه راحلة فكانت الرحلة شهراً من صنعاء إلى مكة، فوصل إلى مكة عام (١٣٦٠ هـ)، وسجل في دار الحديث.

وفي دار الحديث قابل الشيخ محمد حامد الفقي الشيخ محمد عبدالله وسأله من أين أتيت يا محمد؟ فقال: أتيت من الصومال لطلب الحديث الشريف؛ فتأثر كثيراً، وقال: «الخرافيون وأصحاب الطرق يأكلون ويشبعون وطلبة الحديث لا يجدون شيئاً» فأتى به إلى التكية المصرية، وكان متوليها من الأشراف، فقال: «هذا يطلب حديث جدك» فقرر له كل يوم رغيفين كبيرين من الخبز الأبيض (الفينو).

واصل الشيخ طلب العلم في «الحرم» وفي «دار الحديث»؛ فقرأ على الشيخ عبدالرزاق حمزة المصري، والشيخ أبي السمح إمام الحرم، والشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان مدرس التوحيد والحديث في المسجد الحرام، والشيخ أبي سعيد الباكستاني، والشيخ محمد سلطان المعصومي، والشيخ أبو محمد عبدالحق الهاشمي، وعلى الشيخ ابن مانع، وكان من أخص شيوخه الشيخ عبدالرزاق حمزة فدرس عليه الأمهات الستة، و«تفسير ابن كثير»، و«البداية والنهاية» ولكن لم يكمل، وكان الشيخ عبدالرزاق حمزة عندما رأى حرص الشيخ في طلب العلم كان يحترمه ويحبه أكثر من أولاده.

وكانت طريقة الشيخ عبدالرزاق في تدريسه للحديث أنه كان يقرأ السند ثم يسأل طلابه عن اسم الراوي وكنيته ولقبه فإذا لم يعرف بحثوا عنه في الكتب.

وبعد عامين من دراسته في «دار الحديث» عني مدرساً في تدريس اللغة العربية، ومواصلاً الطلب في الحديث، وقد تخرج الشيخ من دار الحديث عام (١٩٦٥م)، ونال الإجازة العالية ودرجة مجتهد في العلوم المقررة، ثم عين مدرساً في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وتتلمذ على يديه عدد من طلبة العلم.

ثم عين مدرساً في الحرم المكي حتى عام (١٤٠٦ هـ) عندما انكسرت رجله، ولكن بقي معيناً كمدرس، وسمح له بالتدريس في بيته، وكان يدرس في بيته إلى حين وفاته.

● **زهده وورعه:**

كان الشيخ زاهداً ورعاً متعففاً لم يكن

يعلم من الدنيا شيئاً، وترك الدنيا بعد أن أقبلت عليه ومن الأمثلة: أنه كان يسكن في غرفة واحدة، وعندما قيل له: ألا نطلب لك غرفة أخرى؟ قال: أتريدون أن يقال الشيخ محمد طماع.

وعندما كسرت رجله وعجز عن الذهاب للتدريس في الحرم رفض أن يأخذ المكافأة التي كان يأخذها، فقال له الشيخ محمد بن عبدالله السبيل رئيس شؤون الحرمين -حفظه الله-: «إن هذا المال يأخذه البر والفاجر وأنت أحق به فمن جاءك فدرسه في بيتك».

● **تلاميذه:**

لقد درس على الشيخ عدد لا يحصى سواءاً كان ذلك في الدار أو في الحرم المكي أو في الجامعة الإسلامية.

وكان يواظب على حلقاته العلمية ويحضرها نخبة من العلماء الأفاضل: مثل الشيخ محمد بن عبدالله السبيل رئيس شؤون الحرمين، وإمام وخطيب المسجد الحرام، والشيخ يحيى بن عثمان المكي الهندي -من علماء الحجاز-، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي -محدث ديار اليمن- الذي وصف شيخه في كتابه «المقترح في علم المصطلح» بـ: «أعلم الناس بعلم الحديث في منطقة الحجاز»، والشيخ عمر بن محمد بن عبدالله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام، والشيخ أحمد ولو الحبشي، والشيخ محمد حسن الجيش.

● **الذين أخذوا منه الإجازة:**

هم خلق كثير ومن أشهرهم: الشيخ عبدالرحمن الحذيفي، والشيخ أحمد بن محمد بن عثمان المنيعي، والشيخ مساعد الحميد، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ محمد المدخلي، والشيخ أسامة القوصي، والشيخ وصي الله محمد عباس.

● **بداية مرض موته، ووفاته:**

كانت بداية مرضه الأخير في بداية شهر شعبان؛ فشعر بثقل كبير، وفي يوم السبت دعا الله كثيراً ومن دعائه: اللهم أحيني إن كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إن كانت الوفاة خيراً لي.

وفي صباح يوم الاثنين أغمي عليه، ونقل إلى المشفى ثم أفاق الشيخ في اليوم التالي، وزاره جمع غفير من طلابه، وأوصى أن يصلي عليه الشيخ محمد عبدالله السبيل، ثم أغمي عليه بعدها، وصار دأبه أن يفيق ويغمى عليه أياماً نسأل الله أن يجعل له ذلك تمحيصاً ورفعة في الدرجات.

وتوفي الشيخ محمد ليلة الأحد ٣ رمضان (١٤٢٠ هـ)، وصلى عليه ليلة الإثنين بالمسجد الحرام بعد العشاء، ودفن بمقبرة العدل بجوار أخيه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمهما الله رحمة واسعة-.

وسقطت الأقنعة

● بقلم: التحرير

الرد على أهل البدع، وكشف زيوفهم، ونقض شبههم، ممن سلم منهجه، وتوسعت مداركه، ورسخ في العلم قدمه مقصد شرعي، ورأس في المراد.

ولذلك اشتد نكير أئمة السلف للبدعة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا من فتنتهم.

ولكن جاء من يلوي لسانه باستنكار نقد الباطل زاعماً أن الردّ على هؤلاء المبتدعة يصدع الصف من الداخل، ويثير الغبار من الخارج، ويحرك الخلاف بين المسلمين.. إنه الوهن وضعف العزائم حيناً وضعف مدارك الحق ومناهج الصواب أحياناً؛ بل هو التولي يوم الزحف عن مواقع حراسة المنهج والعقيدة السلوك والذب عن دين الله ونصرة سنة رسول الله ﷺ.

قال أبو علي الدقاق: «الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق».

وأضعف الإيمان أن يقال لثاني عطفه الخاذل للفرقة الناجية المنصورة: هل سكت المبطلون لنسكت؟!

أم أنهم يهاجمون المنهج والعقيدة وورثة الأنبياء على مرآى ومسمع ويطلب السكوت.

اللهم لا..

لكن.. لعل لبعض هؤلاء عذراً، فإن كثيراً من الخلوف مجمج ولم يصرح بل بعضهم تستر بدعوة أهل السنة والجماعة، وآخرون تمترسوا خلف بعض أهل العلم... وعندئذ يقال: كيف نعرف أهل البدع؟

يعرف الرجل من مدخله ومخرجه؛ فالسلفي مدخله مدخل صدق ومخرجه ومقعده كذلك، وأما البدعي فلا يمكن أن يخفي حاله فلا بد أن يظهر منه ما يدل عليه.

قال الأوزاعي: «**من ستر عنا بدعته؛ لم تخف علينا ألفته**»(١).

وقال معاذ بن معاذ: «**الرجل؛ وإن كتم رأيه، لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه ولا في جليسه**»(٢).

فمن كان جلساؤه «**الحزبيين**»، وشيوخه «**المفكرين الحركيين**»، وأهل مودته «**الطاعنين في العلماء**»... فهل يعقل أن يكون سلفياً سنياً؟!

وختاماً: فإن هذا الصنف من المبتدعة أشد خطراً وأعظم ضرراً؛ لأنه يتلوّن حسب التضاريس.

قال ابن الجوزي: «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعرّي، أشدهم على الإسلام: أبو حيان؛ لأنهما صرحا، وهو مَجْمَج، ولم يصرح»(٣).

(١) «الإبانة» (٤٢٠)، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٥٧).

(٢) «الإبانة» (٤٧٩).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٢٨٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٢٠)، و«بغية الوعاة» (٢/ ١٩١).